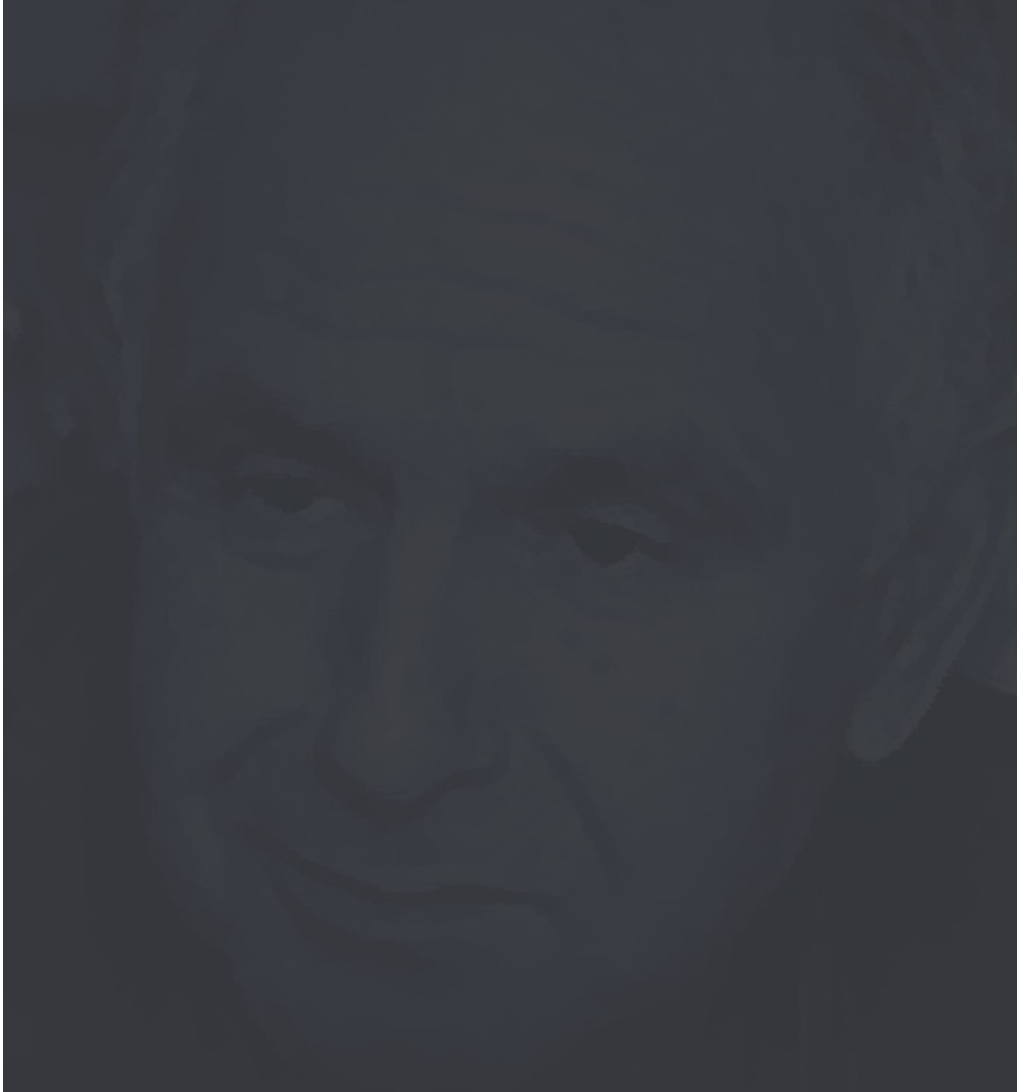
نصوص



مسرحية

ياليل ياعين

موال مسرحي
في نفس واحد

شخصيات المـوال المسرحي

عبد اللـــــه : مجذوب الحي والمدينة

عبد البصير : الكاتب الذي كان أعمى

القنفــــــود : المخبر

النمـــــــس : المخبر

درهمــــــان : الشحاذ الأعمى

جوقة العميان

عــــــــواد : العواد في الجوقة

موســـــــى : عازف الكمان

القصبـــاوي : عازف الناي

فرحـــــــان : ضابط الإيقاع

الصافيـــــة : المرأة المنتظرة

بن هـــــدي : الرجل المنتظر

معــــــروف : صديق بن هدي

البحــــــار : الناسي

الرجــــــــل

1 - بداية الموال ..

(ساحة فارغة، هي جزء من جسد مدينة راقية، وعند هذه الساحة تلتقي مجموعة من الطرق، والتي تأتي من أحياء سكنية مختلفة من المدينة في الخلف، وعلى بعد بعيد جداً ، تلمع أضواء باهتة تمثل أحياء صفيحية فقيرة، غارقة في الصمت والظلام .تطوق الساحة أشكال هندسية متداخلة تمثل أبواب الفنادق الفاخرة، وتشير إلى أبواب النوادي الليلية وإلى المطاعم، وإلى الواجهات الزجاجية اللامعة.. على هذه الأبواب تلمع كتابات ضوئية، يمكن أن نقرأ منها: مقهى النور، حانة الوجود، فندق الهناء، مطعم الذوق الرفيع، كشك الجرائد والهدايا، نادٍ خاص..)

الوقــــت : ما قبل منتصف ليلة ربيع..

أما الزمــن : فهو هذه الأيام، أو ما يمكن أن يشبه هذه الأيام، أو ما يمكن أن تأتي به الأيام في يوم من الأيام.

أعمدة الإنارة العمومية ترسم بقعاً ضوئية هنا وهناك

(يسمع جرس يرن، يدخل درهمان الشحاذ، وهو يسوق دراجة هوائية)

درهمــــــان : (يضع على عينيه نظارات سوداء ، مما يوحي بأنه أعمى) وا ديرو الطريق، راه درهمان الشحاذ، واللي هو أنا ، جاي فالطريق، أنا غير اعمى، والعمى ما عليه لومه، أنا غير أعمى، والهم همكم أنتما .. (يترجل) أسيادنا ، أمالين الخير ، من فيكم يكون كريم وزعيم ، ويعطينا شي مليون درهم؟ كثيرة مليون ؟ ما عليهش ، ربما بالغت كثيراً ، وألف درهم ، ما قولكم فيها ؟ حتى هي كثيرة ؟ إيوا اعطيوني غير اميا ، ولا مياتاين .. إلى كنتم من هذه البلاد ، بحالي، أعطوني الدرهم، راه مقبول منكم، أما إذا كنتم من السواح ، آراو العملة ، و كيف ما كانت هاد العملة يا احباب الله، ما يهمش ، المهم أن تكون صعبة،

أمريكية كانت ، كندية ، أوروبية ، يابانية خليجية، روسية، كل شي مقبول عند الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.. (يعترض طريق رجل خارج من حانة ، ويوقفه بعصاه) آجي انت فاين غادي ؟ أدخل يدك في جيبك، وآرا شي بركة ..

الرجـــــل : قل أولاً، كيف رأيتني وأنت .. ؟

درهمـــــان : كيف ؟ الله وحده يعلم كيف ، أما ، أنا فلا شيء يشغلني إلا كم.. كم تعطيني أنت ، وكم يعطيني الآخر..

الرجـــــل : إنني لا أظن أنك قد رأيتني بأم عينيك ..

درهمـــــان : سبحان الله، ألا تعرف ؟ أم عيني ماتت يا صاحبي (يبكي بافتعال) ماتت وتركتني يتيم العينين ..

الرجـــــل : أقلت ماتت ؟

درهمـــــان : من زمان هادي ..

الرجـــــل : كلنا لها يا صاحبي ، والدوام لله وحده ..

درهمـــــان : ومن أجل أم عيني أريد أن (تدور) معي ، وأن تعطيني شيئاً من وسخ الدنيا..

الرجـــــل : ماذا أقول لك يا صاحبي ؟

درهمـــــان : قل هاك آدرهمان ، قلها ولا تخف ، واعطني بلا حساب، راه ما كيحسب، ولا يتحاسب إلا المزلوط ـ حاشاك ـ وما أظنك مزلوطاً ولا مسخوطاً ..

الرجـــــل : جئت متأخراً يا صاحبي ..

درهمـــــان : متأخراً؟ واخا جئت راكباً عود الريح، واللي هو ولد عم بساط الريح؟

الرجـــــل : صاحب الحانة أخذ كل شيء ..

درهمـــــان : ولد الحرام ..

الرجـــــل : ولو أنك جئت قبل ساعة ، لأعطيتك ، وأعطيتك ، وأعطيتك، حتى تقول كفاني .. كفى ..

درهمـــــان : أنا أقول كفى ؟ الله يعطيني لعمى لكحل إلى نقولها ، وإلى حتى أفكر فيها.. أبيه ، راهم قالوها في الأمثال وما كذبوا ..

الرجـــــل : ماذا قالوا ؟

درهمـــــان : قالوا، أصحاب الحانة ، ما تركوا لأولاد الحلال شيئاً (مشيراً

إلى نفسه) اعطني سيجارة (الله يعفو عليك) ..

الرجـــــل : تريد سيجارة ؟

درهمــــان : أبيه ، وأريدها ـ شرف الله قدرك ، أمريكية ، هذا هو شرطي ومطلبي، وأن تكون شقراء ، مثل الذهب الخالص ، أو في لون الويسكي المستورد ..

الرجـــــل : خذ (يمد إليه بعلبة السجائر، فيتلقفها درهمان، يخرج منها سيجارة واحدة، ثم يضع الباقي في جيب سترته)

درهمــــان : ماذا أقول لك ؟ شكر الله سعيكم ، وعلى كل حال ، هذه حسنة، ولو أنها صغيرة وتافهة ، فقد كتبت لك، وستجدها إن شاء الله يوم الحساب في ميزانك المقبول.. (وهو يشم السيجارة) آش هذا ؟ هذه سيجارة ليست ولابد يا صاحبي ..

الرجـــــل : وكيف عرفت ، وأنت لا ترى ؟

درهمــــان : لا أرى نعم ، ولكنني أشم يا صاحبي ، وقد يحدث أن أرى في بعض الأحيان..

الرجـــــل : عجباً، أنت أعمى وتراني، وأنا الذي لست أعمى لا أراك ، ولا أرى أحداً سواك ..

درهمــــان : ومن قال ، أنت لست أعمى ؟ العمى يا صاحبي أشكال وألوان، وأخطر كل العميان ، في هذا الزمان، وفي غير هذا الزمان ، هم السادة الأغبياء..

الرجـــــل : وأظن أنني ، ياصاحبي ، لست من هؤلاء ..

درهمــــان : آه، ومن سوء حظك وحظي، أننا لسنا من هؤلاء ، ومن يرفض أن يكون من أصحاب السعادة، ومن أصحاب الفخامة ، ومن أصحاب العظمة البلداء ؟ غبي وابن غبي ، من يرفض أن يكون غبياً في دولة الأغبياء .. أنا أعمى حقاً ، ولكنني حاضر دائماً يا صاحبي، والأعمى الحاضر يرى ما لا يراه المبصر الغائب .. (يواصل الكلام، ولكن كلامه لا يسمع ، لأنه يتلاشى وسط الضجيج والصخب ووسط موال صادر من الحانة، تدخل جوقة العميان ، وتعبر بسرعة ، ويطل المخبران ، النمس والقنفوذ من خلف حائط، وتعبر الصافية وهي تدفع عربتها ، ويدخل رجل في زي البحرية، وهو بتمايل، وتكثر الحركة على

المسرح، وتتعالى الأصوات الخارجية ، ويتداخل صوت الغناء والموسيقا وتتقاطع الكلمات المبهمة ، وفجأة يتوقف كل شيء، ويصبح المشهد جامداً، وتزحف الظلمة عليه شيئاً فشيئاً ، ولا تبقى إلا بقعة ضوء صغيرة وضيقة ، داخلها يقف عبد الله المجذوب)

2 - المدينة وشهادة المجنون

(عبدالله، وهو يتأمل الفضاء الفارغ حوله ، وينصت لموال قادم من بعيد)

المـــــــــوال : سكرت من المعنى الذي هو طيب ،ولكن سكري بالمحبة أعجب

عبد اللـــــه : هذه هي المدينة، ليس كل المدينة ، ولكن وجهها الليلي فقط، وهؤلاء الناس، هذا وذاك وتلك والآخر، وهؤلاء والآخرون والأخريات ، هؤلاء هم كائنات الليل فيها ، ومن كان مجنوناً مثلي، ومن كان مدمناً على التسكع مثل عبد الله المجذوب، لابد أن يعرف كل شيء ، ولابد أن يعلم ، أن كائنات هذا الليل، ليست هي نفسها كائنات النهار..أنا الموجود هنا ، الاسم فلان ، والجنس إنسان ، والوطن ؟ وطن الغرائب والعجائب ، ووطن الهم والأحزان ، أما العنوان ، فهو هذا المكان، وهو كل مكان، وهذا العمر يا سادتي، ما هو إلا رحلة .. رحلة طويلة أو قصيرة، باتجاه مملكة الصمت والنسيان ..هذه فنادق، لها نجومها الأرضية، كما السماء لها نجومها السماوية، وهي كائنات إنسية حقيقية، مثل كل الناس في المدينة ، بعضها سيءالسمعة، وبعضها الآخر سمعته بين بين ، وأكثرها فنادق مشبوهة والعياذ بالله ..وهذه مطاعم فاخرة، أكلها طيب وشهي وحلال، هكذا قالوا، والله أعلم، ولكن بعض روادها ـ قلنا بعضهم فقط ـ من أولاد الحرام، ورزقهم أيضاً ، رزق حرام ..إنهم يأكلون طعاماً له ذوق ، ويشربون شراباً له طعم ولون، مع أن الأصل في الماء، أنه بلا طعم ولا لون، وسبحان الله الذي فضل بعض الماء على بعض ..   هل رأيتم ؟ هي بنايات لها واجهات زجاجية لامعة وشفافة ، وهي حاجز بين إنسانين مختلفين ، الإنسان الأول يأكل ـ بالصحة والعافية ـ والثاني يتفرج عليه ، واللي ما أكل يتفرج ، والفرجة بالمجان .. وهذه.. هذه حانات وعلب ليل ، بها حنان له أجر وله أثمان، وبها شراب روحي، قليله معتق ، وأكثره (مغشوش) ، وبها

أجساد فيها أرواح ، وأكثرها جثث بلا أرواح .. وهذا الضجيج الذي أسمعه وحدي ، هو الذي يسمونه الموسيقا ، وتلك الأجساد التي تتلوى بداخل هذه البنايات (وهو يطل من خلف النافذة) ليس بها وجع أو مغص ، ولكنها فقط ترقص، أي نعم ، هي اختارت أن ترقص هكذا (وحنا مالنا ؟) وهي حرة في أن تفعل بأجسادها ما تشاء ..وهذا الليل له طقوسه ، وله زيه، وله ألوانه.وله سحرته وكهنته ، وله حكامه وسلاطينه ، وله حكماؤه ومجانينه ، وله جلادوه وضحاياه ، وله مشعوذوه ودجالوه ، وله إنسه وجنه، وله ملائكته وشياطينه ... (يحرك شفتيه ليقول كلاماً ، ولكنه لا يُسمع)هذا كلام حذفته الرقابة..

(تعود الحركة إلى ما كانت عليه من قبل، يخرج من الجهة نفسها التي يدخل منها المخبران القتفود والنمس ، يرتدي الرجلان معطفين أسودين طويلين جداً، ويضعان على عينيهما نظارات سوداء)

القنفـــــود : واش سمعت شنو قال هاد البشر آصاحبي ؟

النمـــــس : سمعت ..

القنفـــــود : إيوا وشنو رأيك ؟

النمـــــس : هذاك راه غير هبيل ، وكلامو ما عندو لجام ..

القنفـــــود : أنت اللي اهبيل آصاحبي وما عندك خبار ..

النمـــــس : آنا هبيل ؟ إيوا الله يحيبك على خير ، واش نسيتي باللي أنا هو النمس ؟

القنفـــــود : أييه ، أنت هو النمس ، وآنا سماوني القنفود ، وربما غير باش يضحكوا علينا ، وداك الرجل هو عبد الله المجنون ، ولكن ..

النمـــــس : ولكن شنو ؟

القنفـــــود : شكون اللي فينا العاقل ؟

النمـــــس : احنا ..

القنفـــــود : وشكون هو المجنون ؟

النمـــــس : هو ..

القنفـــــود : متأكد أصاحبي ؟

النمـــــــس : مليون فالمية أصاحبي ، وكل هاد لكلام اللي كيقولو ما عندو راس ولاأساس..

القنفـــــود : أبيه ، ما عندو راس ، وغير انت بوحدك ـ فهاد لبلاد ـ اللي عندك الراس ..

النمـــــــس : كلامو كلو تخراف أصاحبي ، صدقني ..

القنفـــــود : وعلاش ما نقولوش ، كلو معاني فمعاني، وكلو ألغاز ورموز، وخاصو اللي يعرف يقراه ؟

النمـــــــس : آش عندو ما يقرا فيه ؟ الرجل احمق ومصرفق ، وغير كيخربق، وزيد على هدا كلو ، أنه حمق بالحجة والبرهان ..

القنفـــــود : واش من حجة ؟

النمـــــــس : عندو شهادة التخرج آ صاحبي ..

القنفـــــود : التخرج ؟ أمنين التخرج ؟ من الجامعة ؟

النمـــــــس : ألا ، من مستشفى الأمراض العقلية ..

القنفـــــود : وهاد الشهادة ، أنت شفتها ؟

النمـــــــس : أبيه ، شفتها ، وعليها الطابع دالمخزن ..

القنفـــــود : ايوا .. إلى كان هبيل بالشواهد ديالو، ومن عند المخزن ، ما عندنا مانقولو، إيوا يالله نشوفو ما نديرو .. (يخرجان من جهة ليدخل عبد الله المجنون من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : لقد خرجا .. الأول نمس ، والثاني قنفذ أملس، وهما كائنان متلازمان ، مثل الثلاثاء والأربعاء، ذهبا إلى (الجايحة الكحلاء) (مشيراً إلى الرجلين)هما عينان اثنتان مفتوحتان على الخواء ،العين الأولى حولاء ، والعين الثانية عمشاء، ومن عول عليهما عول على (الخلاء) خلف كل شيء في هذا الليل شيء ، أو أشياء ، فخلف هذه الأضواء الساطعة واللامعة ظلام حالك ، وفي كثير من النفوس المريضة ظلام دامس، وفي قلب هذا النظام الظاهر فوضى خفية ومختفية، ووراء هذا الهدوء المزيف، عاصفة حقيقية قادمة، فانتظروا العاصفة ، وتوقعوها في أية لحظة ، ومن يزرع الريح ، هل يمكن أن يحصد إلا العاصفة ؟

(يخرج)

3 - عبد البصير، يبصر أو لا يبصر ؟

(يدخل عبد البصير الأعمى ، وهو ممتلئ فرحاً ونشوة ، يضع على عينيه نظارات سوداء ، ويمسك بعصا بيضاء يتلمس بها الطريق ، ويتأبط حزمة من الكتب)

عبد البصير : آه ، ما أجمل هذا الليل، إنه مثلي ، سلطان متوج ، وهذا القمر الذي في السماء، إنه تاجه المرصع بالجواهر والياقوت والمرجان، وهو تاجي أنا أيضاً ، وتاج كل العشاق والشعراء والمجانين والمتسكعين (ينزع النظارات، ويضعها في جيبه) هذه النظارات السوداء أصبحت تضايقني ، إنها تتحالف مع العمى ضدي ، وهذه العصا التي في يدي ،لماذا ترافقني دائماً ؟ أنا لست في حاجة إليها ، لقد مضى ذلك الزمن الذي كان ، وهذا زمن آخر (يجلس على مقعد خشبي) وأنا، ما كنت أعمى،إلا يوم كان العمى موضة ذلك العصر، وكان غريباً ومتخلفاً من ليس أعمى، ولكنه اليوم أصبح ذكرى ، وحرام علي أن أغمض العين أو أنام ، فلا عمى اليوم ولا نوم غداً، فالنوم أخو الموت ، وأخو العمى أيضاً ، وأخوالصمم، ولهذا جئت هذا الحي ، لأنه حي الساهرين وحي الفرحين،وحي الأحياء .. الأحياء حقاً وليس الموتى ولا أشباه الموتى ..

(يخرج من جيبه قلماً وأوراقاً، ويشرع في الكتابة، تدخل امرأة وهي تدفع عربة بها رضيع)

الصافيـــــة : ما أشد سواد هذه الليلة ..

عبد البصير : (يكتب) هذا الليل ليس أسود ، ولكنه رمادي ، وهو ليس لوناً واحداً، ولكنه لونان متحابان في الطبيعة وفي الحياة ، وعشقهما ليس كمثله شيء، هو بياض في سواد ، أو هو سواد في بياض .. (من غير أن ينتبه لوجود المرأة)

الصافيـــــة : إنه مظلم مثل سواد قلبي ، وطويل طويل كشقائي وعذابي

(تكلم ابنتها التي في العربة) أنت على الأقل لديك هذه العربة، وهي شبه بيت، أو هي بيت صغير في حجم الحلم الهارب، أما أنا فلا بيت لي، وإنني أنتظر حتى يأتي أبوك ، ليشتري لنا بيتاً في هذا الحي ..

عبد البصير : إمرأة قالت ، لا بيت لي، مع أن كل هذه الأرض بيتها ، ومن يسكن القلوب العامرة، أفضل ممن يسكن البيوت المعرضة للخراب ..

الصافيـــــة : يا ابنتي، لو كنت ميتة ، مثل كل الموتى ، لأعطوني بيتاً من طين وحجر ، وسموه قبراً ..

عبد البصير : (يكتب) لعبة الأسماء ماكرة، فاحذروها يا عباد الله، احذروا أقنعتها وغوايتها، هكذا تكلم مجذوب المدينة ..

الصافيـــــة : ولأنني أحيا نصف حياة أو ربع حياة، فإنني عارية كما ترين، ولا أرتدي إلا جلدي، وإذا مت غداً، وليس في نيتي أن أموت أبداً، فسوف يعطونني ثوباً بلون واحد، ويعطون لهذا الثوب اسماً واحداً، وسيقولون هو .. الكفن، وليس من حقك إلا هذا الثوب الواحد الأوحد ..

عبد البصير : (يكتب) وأنا ، عندما كنت أعمى ، لم يعطوني إلا لوناً واحداً أيضاً، وقالوا لي ليس في الحياة ، وليس في الوجود، وليس في المدن والقرى ، وليس في كل الدنيا إلا هذا اللون وحده ، والليلة أكتشف الألوان والأصباغ والأشكال، وأعرف أنهم كانوا كاذبين..

الصافيـــــة : أوصيك بالحذر يا ابنتي، وما هذه الوجوه إلا أقنعة ..

عبد البصير : (يكتب) قالت هي أقنعة ، ومضت تبحث عن وجهها بين الوجوه..

الصافيـــــة : وما هذه الألوان اللامعة إلا أصباغ كاذبة ..

عبد البصير : (يكتب) وأخذت الأصباغ ، من حقيبة يدها، وتجملت، ونظرت إلى المرآة الصغيرة وقالت..

الصافيـــــة : لو كان هذا الزمن جميلاً ، ما تجملت له ، ولو كان سيدي يعشق روحي ما تجملت له ..

عبد البصير : من وحي هذا الليل الرائع ، وفي سكونه ، سأكتب الروائع، ونحن ما خلقنا إلا للنهار

الصافيـــــة : صدقيني يا ابنتي فرح ، هذا الليل لا شيء فيه ، لا شيء ، إلا الفضائح والفظائع..

عبد البصير : إن أصعب ما في الأشياء هي البدايات دائماً ، فمن أين أبدأ مسرحيتي ؟ ومن قال إنها مسرحية ؟ فقد تكون شعراً، أو خواطر طائرة، أو قصة أو رواية أو ملحمة أو حكاية أو مجرد خرافة ، وأنا لا أدري ؟

الصافيـــــة : وأخطر كل الأشياء يا ابنتي هي النهايات ، ولا شيء يقلقني اليوم ، إلا نهايتك غداً ..

عبد البصير : هل أبدأ من هذه الأنثى الفاتنة ؟ إنها تنتظر، وما أقسى الانتظار. هي عاشقة من زمن الفروسية ، إنها تنتظر حبيبها الذي سوف يأتي ..

الصافيـــــة : من حقنا عليه أن يأتي ، أنت لك أب ، ولابد أن تعرفيه، وأن يعرفك،وأن يعترف بك ، وأنا لدي زوج، ولكن زواجنا تنقصه ورقة، ورقة فقط ، ويكون لك إسم في سجل الأسماء، ويكون لنا بيت ، ويكون لنا عمر نحياه مع الناس ..

عبد البصير : (يكتب) هذا زمن الأوراق .. الأوراق في الإدارات، والأوراق في المعاملات ، والأوراق حتى في المراحيض والحمامات ..

الصافيـــــة : يوم مضى، تم ذلك على عجل ، ولم يكن لدينا الوقت حتى نذهب إلى عدلين،وأن نكتب زواجنا على ورقة ، وهاجر بحثاً عن لقمة خبز ، وكنت أنت وحدك ، شاهدة على علاقتنا وعلى زواجنا ، كنت في أحشائي نطفة ..

عبد البصير : فارسها له إسم ، ووليدها الذي في العربة له إسم ، وقصتهم لها إسم..

الصافيـــــة : هذا الرجل، لماذا ينظر إلي بهذه العين ؟ إنه يكتب كلاماً في الأوراق، ترى ماذا يكتب ؟ أيكون من رجال الحال، ومهمته أن يحصي أنفاسي نفساً نفساً ، لنهرب يا ابنتي ، قبل أن تقع الواقعة .. (تدفع عربتها وتخرج)

عبد البصير : لقد ذهبت ، أثقل عليها الانتظار، ودمر أعصابها القلق ، وكان لابد أن تفعل شيئاً ، وبلا شك، فقد راحت الآن تبحث عنه في المستشفيات، إن الطريق اليوم غير آمن ، والحوادث فيه

كثيرة، ولا أحد ينجو من الأخطار إلا من أدركته رحمة اللّه ، أنا أيضاً ، ينبغي أن أغير هذا المكان ، وأن أذهب للبحث عن مشهد آخر ، وأن أغير المكان والزاوية ، لعلني أكتشف في هذا الليل الجميل جمالاً آخر

(يخرج)

4 - جوقة العميان في الطريق إلى الحان

(تدخل مجموعة من العميان وهي في معاطف سوداء طويلة جداً، يضع كل واحد منهم على وجهه نظارات سوداء ، ويمسك بيده عصاه التي يتحسس بها المكان، يمسك بعضهم بكتف البعض الآخر، يدخلون وهم يتأبطون أدواتهم الموسيقية ، مما يدل على أنهم جوق موسيقي)

عـــــــواد : (وهو يتأبط عوده) ما هذا يا صحبي ؟ لقد انطفأ الضوء فجأة ..

القصبـــاوي : (وهو يمسك الناي بيده) ماذا تقول يا أعمى ؟ ليس الضوء الذي انطفأ ، ولكنه المساء الذي عاد إلينا.. لقد عسعس الليل وأنت لا تدري ..

موســـــــى : (وهو يتأبط آلة الكمان) سبحان الله ـ أقلت عسعس الليل يا صاحبي ؟ ولكن الشمس لاتزال في السماء ..

عـــــــواد : نعم ، ولكن في أية سماء ؟

فرحــــــان : (وهو يمسك بيده آلة الدف) سماء الآخرين بلا شك يا صحبي، وليس في سمائنا ، وليس من المعقول أن تكون هناك سماء واحدة ..

عـــــــواد : أحسنت، خصوصاً وأن الله سبحانه وتعالى تحدث عن سبع سماوات، وهذه التي فوقنا، هي واحدة منها فقط ، وهي الأدنى بلاشك ..

القصبـــاوي : إذاً لقد عاد المساء إلينا ، عاد من جديد ، وعلى الله أن يكون فيه الجديد ..

موســـــــى : أنا ما يحيرني ، أن هذا المساء قد عاد اليوم قبل أوانه ..

فرحــــــان : يخيل إليك فقط يا صاحبي ، لأنه لا شيء يأتي قبل أوانه ..

موســـــــى : وأنه لا يشبه تلك المساءات التي كانت ، والتي لم تكن بكل هذا السواد وبكل هذه القتامة ..

عـــــــواد : هذا السواد يا صحبي ، ليس سواداً عادياً، أتعرفون لماذا ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) لماذا ؟

القصبـــاوي : لأنه مركب من كل الألوان السوداء ، وما أكثرها، وهو بهذا

سواد على سواد على سواد على سواد ..

عـــــــواد : أخبروني - الله يرضي عليكم - سواد هذا الليل الطويل، إذا أضفتم له شيئاً من سواد الوقت، وشيئاً من سواد هذه النظارات التي على عيونكم، ماذا يعطي ؟

الجميـــــع : يعطي الكارثة ..

موســـــى : أما إذا أضفنا له القناطر المقنطرة من سواد النفوس المظلمة والظالمة والمقفرة ، فماذا يعني ذلك ؟

الجميـــــع : (بصوت واحد) يعني قيام القيامة ..

فرحــــــان : أما أنا ، يا أصحابي ، فإنني لا أرى الآن أية ظلمة..

موســـــى : لا يرى ؟ ومتى كنت ترى من قبل شيئاً ؟ (يضحكون)

فرحــــــان : أنا لا أرى ليلاً ولا ظلمة ، وما هذه النظارات التي على عيوننا إلا من أجل أن نتقي أشعة الشمس ..

موســـــى : الشمس ؟ وأين هي الشمس ؟

فرحــــــان : هي هنا ، في قلبي ، وهي هنا ، في رأسي، وهي تسري في عروقي مع دمائي الحارة ، وهي تشرق على أفكاري وحالاتي ، قبل أن تشرق على هذه الأرض ..

عـــــــواد : هذا كلام الحمقى والمجانين ..

القصبـــاوي : لا ، بل هو كلام العميان .. (يضحكون)

فرحــــــان : ولم لا تقولون ، هو شطح الحكماء ، وهو كلام الشعراء (مشيراً إلى نفسه)؟

موســـــى : سبحان الله ، ومتى كان الشعر أعمى يا أعمى ؟

فرحــــــان : الشعر ليس أعمى، ولا الحكمة عمياء ، وفي أقصى درجات الإبداع ياصحبي ، يكون هذا الشعر هذياناً وعربدة، وقد يكون حمى ..

موســـــى : نعم، وما هذا الكلام الغريب العجيب إلا كلام الحمى ، وأحسن شيء تفعله الآن يا فرحان ، هو أن تصمت ..

عـــــــواد : اسكت ، وإلا دعونا عليك جميعنا ، وقلنا ..

الجميـــــع : (بصوت واحد) الله يعطيك العمى (يضحكون)

فرحــــــان : أرجوكم ، أتوسل إليكم ، وأقبل الوحل الذي تحت نعالكم، كل شيء أقبله منكم يا أولاد الكلب إلا العمى ..

القصبـــاوي : نحن جوقة موسيقية ، ونحن الآن في الطريق إلى تقديم وصلة غناء وطرب..

عـــــــواد : ولاشك أن كل الناس، في علبة الليل ينتظرون قدومنا على أحر من القهر ..

فرحـــــان : ولاشك أنهم يتساءلون، ويقولون ..

عـــــــواد : من عساه يكون ذلك العواد جميل المحيا ، والذي هو أنا ..

موســــــى : (وهو يمد يده ليسلم على شخص وهمي) أنا هو موسى ، اسمي موسى ، وحتى لا يسرح خيالك بعيداً أقول لك ، أنا يا سيدي لا علاقة لي بموسى ولا بعيسى ، ولا بفرعون ولا بهامان ، ولا بكل أولئك الذين طواهم الزمان ، والذين غيبهم النسيان ..

عـــــــواد : نعم، ولكن لك علاقة بموسى الحلاقة .. (يضحكون)

القصبـــاوي : فأنت يا موسى، أحد من سيف، وأمضى من شفرة الحلاقة ، ومهمتك، أن تذبح هذه الكمنجة المسكينة كل ليلة .. (يضحكون)

عـــــــواد : وأنا عواد (وهو يقدم نفسه لشخص وهمي) .. اسمي عواد ، هكذا سماني الوالد والوالدة ، وبهذا الإسم عرفت دائماً بين الناس ، حتى قبل أن أختار هذا العود ، وقبل أن أتخذه صاحباً ورفيقاً ، وقبل أن أكلمه مساء كل يوم ويكلمني، وبهذا الإسم سوف أدخل التاريخ إن شاء الله من أبوابه الواسعة ..

فرحـــــان : وأنا فرحان (وهو يمد يده باتجاه الفراغ ، ويقدم نفسه)

موســــــى : فرحان ابن من ؟

فرحـــــان : ابن غضبان.. ها ها .. أنا فرحان يا سيدي المحترم ، وعلامة فرحي أنني اخترت العزف على هذا الدف المحترم، إنني أنا الضابط في هذه الجوقة، ضابط الإيقاع يا سيدي، وحيثما نكون نحن، يكون النشاط حاضراً معنا، ونوزعه على كل الناس، بالدربوكة والبندير، حتى (يشيط الخير) ..

القصبـــاوي : أما أنا ، فقد اخترت من بين كل الأسماء إسم القصباوي ، ولأنني أعشق هذه القصبة ، وأهيم فيها حباً ، فقد بادلتني حباً بحب، ووفاء بوفاء ، وجعلت مني عازفاً بارعاً وكبيراً وعظيماً وعبقرياً، وأدخلتني سجلات التاريخ، وكتبتني مع الخالدين ..

موســــــى : ولعنة الله على الكاذبين ..

فرحــــــان : سبحان الله ، لقد تعود النفخ في القصب ، وهو اليوم ينفخ في كل شيء .. (يهتزون من شدة الضحك)

عــــــواد : أما أنك عازف على الناي ، فهذا ما لا جدال فيه يا صاحبي..

فرحــــــان : وأما أن تكون عازفاً بارعاً ، وأن تكون من الأولين ومن النابهين ، فتلك مسألة فيها نظر ..

القصبــاوي : فيها نظر ؟ ها ها ، ومن أين يأتيك النظر يا عديم النظر؟ (يهتزون ضحكاً)

فرحــــــان : من أين يأتيني النظر ؟ أستعيره من خالتك العمياء ..

عــــــواد : والآن، يا أصحابي ، ويا أهل الفن الغالي، ما رأيكم، دام عزكم، لو نستعيد شيئاً من الجد، و نذهب إلى العمل الذي ينتظرنا .. ؟

فرحــــــان : ليمسك إذاً ، كل أعمى بصاحبه ، ولنتوجه إلى العلبة الليلية..

موســــــى : تمسكوا بي، وسأدلكم عن الطريق، فأنا ـ ولا فخر ـ أقلكم عمى، (يخرجون وهم يغنون ويعزفون ، ويهتزون في شبه رقص)

5 - معروف يسأل عن مجهول ..

(يدخل معروف، وهو يحاول أن يجد من يسأله، يتعقبه المخبران القنفود والنمس، من غير أن يحس بوجودهما)

القنفـــــود : أنت يا هذا ، آش عندك ؟ وعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : أنا ؟

النمـــــس : أبيه أنت ، شفناك تايه ودايخ ، وغير كتدور، وياك لاباس آولد الناس ؟

معـــــروف : ما لاباس والو، أنت كتسولني على اللي عندي ، وأنا كنقلب على اللي ما عنديش ..

القنفـــــود : راه بغينا نعرفوا ـ أنا وهاد صاحبي هدا ـ أشنو عندك فداك الراس ؟

معـــــروف : أشنو عندي ؟ عندي سؤال واحد ، سؤال ما كبير ما صغير، ما طويل ما قصير ، ما واسع ما عريض ، ولاهو صعيب ولا خطير ..

النمـــــس : صاحبي القنفود ، أسمعت آش قال هاد خونا ؟

القنفـــــود : أسمعت ، قالك عندو سؤال خطير ..

معـــــروف : وهاد السؤال هذا ، إلى عرفت جوابو، غادي نفرح، ونكون سعيد ، سعيد ، سعيد ..

القنفـــــود : صاحبي النمس ، أسمعت آش قال عاودتتاني ؟

النمـــــس : أبيه ، قالك إلى لقى داك الشي اللي كيقلب عليه ، غادي يكون سعيد ..

القنفـــــود : سبحان الله ، ولى ما لقاهش أصاحبي ، آش غادي يكون ؟

النمـــــس : آش عندو كاع ما يكون، إلى ما كانش سعيد، غادي يكون الجيلالي ولا عبد القادر ، ولا ميمون ولاعباس ..

القنفـــــود : ما قلتلناش ، اعلاش كتقلب ؟

معـــــروف : كنقلب على صديق ، قالوا لي شافوه فهاد الحي ، في حالة غير حالتو الطبيعية..

النمـــــس : وانت يا لفضولي ، وبلا عكز عليك ، جيت تشوف آش عندو، ياك؟

معـــــروف : أبيه ، جيت نتأكد من كلام بعض الناس اللي قالوا شافوه ، مع أنه ـ وبحسب ما كنعرف ـ موجود من سنة ، فبلاد الهجرة ..

القنفـــــود : وصاحبك هذا ، اشنو اسميتو ؟

معـــــروف : اسميتوبن هدي ..

النمـــــس : (يخرج من جيبه مذكرة صغيرة ويقرأ) بن خدي .. بن جدي، بن سعدي ، بن رشدي ، بن زهدي ، بن عدي .. أما بن هدي هدا ، راه ما كاينش فالحي، ولا حتى فالمدينة ..

معـــــروف : متأكدين ؟

النمـــــس : مليون فالمية ، وليه المخزن كيلعب آولد الناس ؟ (يدخل عبد الله المجذوب وهو يكلم نفسه)

عبد اللـــــه : يا أعمى البصيرة وأعمى البصر ، الغائب موجود، هنا أو هناك ، وغداً سوف نقول ، حضر المنتظر ..

معـــــروف : آش كيقول هذا ؟ ومع من كيدوي ؟

النمـــــس : هذا ياسيدي ما كيقول والو ..

معـــــروف : ما يمكنش ..

القنفـــــود : راه مع المجانين كل شي ممكن آصاحبي ..

عبد اللـــــه : كذب كل الناس ، وصدق روحك وقلبك ، إن من نسأل عنه، قد يكون على بعد خطوة ، أو أقل من خطوة ، ونحن لا ندري.. (يخرج)

معـــــروف : إلى سمحتوا لي عافاكم ، راه عادي بعض الأسئلة لقليلة ، بخصوصكم انتما، شكون تكونوا انتما ؟

النمـــــس : آه يا عدو الله ، عرفتك ..

معـــــروف : شنو عرفت في ؟

النمـــــس : باغي تخرج لي لساني من فمي ياك ؟

معـــــروف : والله العظيم ما ..

القنفـــــود : قالك ما ، آسكت ، واعرف مع من كتدوي ..

معـــــروف : مع من كندوي نعم آس ؟

النمـــــس : راك مع المخزن ..

معـــــروف : أنا ما باغي والو ، والله العظيم ما باغي غير السلامة ..

النمـــــس : وعلاش كتسولني ؟ علاش ؟ باغي تخرج لي لساني ياك ؟ ما

حشمتيش آعدو الله ، باغي تخرج لسان المخزن ؟

معـــــروف : اسمح لي يا آسيدي، ما يسحابليش انتما هما المخزن ..

القنفـــــود : عرفتها .. عرفتها ..

معـــــروف : شنو عرفت نعم آس ؟

القنفـــــود : باللي كذبوا عليك هادوك ..

معـــــروف : هادوك ؟ هادوك شكون نعم آس ؟

القنفـــــود : الناس دلبولتيك ، ولازم راهم قالوا ليك باللي أنا ثرثار وصاحبي مهذار ، وأنه عزيز علي نكشفوا الأسرار ..

معـــــروف : ألانعم آس، وحرام واش يكون هاد الشي ..

النمـــــس : عرفتك آعدو الله شنو بغيتي ..

معـــــروف : أنا ما بغيت والو ..

النمـــــس : باغي نقولو ليك بيللي احنا ـ القنفود وآنا ـ خدامين مع المخابرات السرية ، أدوي ؟ إيوا والله العظيم آخويا لا قلناها ليك ..

معـــــروف : وعلاش ما تقولوها ليش ؟ واخا حنا وللينا دابا صحاب ، وشركنا تقرقيب الناب ؟

القنفـــــود : آسيدي السربيس سربيس ، احنا اعطاونا مهمة خطيرة وقالوا لينا ، ردوا بالكم ، وحل عينيكم مزيان ، وها هما عينينا محلولين ، هانت شوف ..

معـــــروف : راني كنشوف ..

النمـــــس : وقالوا لينا طرطقوا ودنيكم مزيان ، وعندكم يمشوا يفيقوا بيكم القومان ، وسمعوا لخبار، وحافظوا على الأسرار ، وعنداكم تمشيوا تقولوها لشي واحد ..

معـــــروف : أييه ، ما تقولوها لحتى لشي واحد ، إلا أنا ..

القنفـــــود : إلا انت ؟ وعلاش انت بالذات ؟

معـــــروف : لأنني أنا ، ماشي واحد ..

النمـــــس : ماشي واحد ، وشنو انت ؟

معـــــروف : أنا غير نص واحد ..

النمـــــس : آه ، إلى كان هكذا ما كاين مشكل .. أنا حتى واحد ما يمكن يديرها بي ..

معـــــروف : لا باين ..

القنفــــــود : وحتى أنا بحالو، راني مطور، ومجبد مزيان، وكنطير فالسما، أنا عفريت ومسخوط، وعليها راهم سماوني القنفود..

عبد البصير : أهلا وسهلا بصاحبي القنفود (يمد له يده ليصافحه)

القنفــــــود : وهذا صاحبي النمس ، أسمح لي ، راه باقي ما ولينا صحاب، وقبل كل شي، لازم نعرفوا، شكون انت ، ومنين انت، وشنو كتدير فالخدمة ديالك ؟

معــــــروف : أنا ؟

النمــــــس : أييه ، أنت ..

معــــــروف : أنا معروف ..

النمــــــس : أنا كتسولك على سميتك ..

معــــــروف : اسميتي معروف ..

القنفــــــود : سبحان الله ، مع أننا ما كنعرفوكش

معــــــروف : وكتعمل مروض الأسود فواحد السيرك ..

النمــــــس : إيوا .. ها ها .. فرق كبير بيناتنا حتى نوليو صحاب ، أحنا راه صحاب المخزن إلى ما عندك خبار..

معــــــروف : كنعرف، أنتما صحاب المخزن ، ولكن آنا راه صاحب السبع، إلى ما عنكم خبار ؟

القنفــــــود : إلى كان هكذا راحنا صحاب ..

النمــــــس : اصحاب واحباب ، واخوت (يخرجان ، ويبقى معروف وحده)

معــــــروف : سبحانك يا الله ، وشكون يفهم هاد خلق الله ، من غيرك يا الله ؟ راهم احترموني وقدروني وخافوا مني ، واصبحت منهم وصاحبهم وحبيبهم وواحد منهم ، وهاد الشي كلو مناش ؟ لأنني نافقتهم وكذبت عليهم، وقلت ليهم كندرب السبوعة .. (يضحك) أنا معروف المتلوف ، قراد الحلقة ، في الساحات الضيقة، ووليت صاحب السبع ، وكرمني الله من حيث لا أدري، وصبحت صاحب المخزن ..قاليك الصدق حبو الله ، ولكن الكذوب على الكذابين والمنافقين كيخرج مولاه.. هما صدوني، وهذاك شغلهم ، ولكن أنا ، واش حتى أنا نصدقهم، ونقول بن هدي ما كاينش فهاد الحي ؟ كنت حاير ، ومازال باقي حاير..

(يخرج)

6 - أنت يا أنت، من أنت ؟

(يدخل عبد البصير من جديد ، وهو يمسك بأوراقه وكتبه ، يعود إلى المقعد نفسه الذي جلس عليه أول مرة)

عبد البصير : سكون هذا الليل يغري بالكتابة، وجمال هذه الدروب يغري بالتسكع، وبعد حصة من المشي ، لابد من هذه الاستراحة ، ولابد من لحظة للتأمل الهادئ ، الله الله، ما أروع الليل هذا ، إنه يبهج العين ، ويريح الروح ، وربما لهذا غنى المغني (يغني) يا ليلي .. يا عيني

(يطل عليه النمس والقنفوذ من خلف حاجز ما)

النمـــــس : واش سمعت اللي اسمعت أنا آصاحبي ؟

القنفـــــود : أييه، اسمعت اللي اسمعت انت ..

النمـــــس : هاد الرجل كان أعمى ، وما بقاش عمى ، وكل شي هاد الشي، بلا خبار المخزن ..

القنفـــــود : آجي انقربوا لعندو ونشوفو آش كاين .. (يقتربان منه)

النمـــــس : آمولاي ، آلزين ، آمرضي الوالدين ، قبل ما تجلس وتغني ، وتقول ليلي يا عيني ، قل لينا بعدا ، اشكون أنت ؟

عبد البصير : من أنا ؟

القنفـــــود : آييه .. هي هديك .. شكون انتما سيادتكم ؟

عبد البصير : أنا هو أنا ، أما عرفتني ؟

النمـــــس : لا ، اسمح لي، ما عرفتكش ..

عبد البصير : أنا هو الذي ، والذي .. آه ، كم يلزمني من الكلام، حتى أعرف بنفسي، وكم يلزمك أنت من الوقت حتى تعرفني ..

القنفـــــود : واشحال صعيب هاد الإنسان ..

عبد البصير : أكيد أنك لا تعرفني، ولو كنت تعرفني ما سألتني ..

النمـــــس : وكيف نعرفك، وآنا ما عمرني شفتك ؟

عبد البصير : يا سبحان الله، تقول لا تعرفني ، مع أنك تعرف الله يا صاحبي، أليس كذلك؟

النمـــــــس : اييه كنعرف الله ..

عبد البصير : وهل رأيته يا هذا ؟

النمـــــــس : آش كيقول هذا لهبيل ؟

عبد البصير : هل رأيت؟ إنه ليس شرطاً أبداً، ألا نعرف الناس والأشياء ، إلا إذا رأيناهم بالعين ..

القنفـــــود : ما علينا ، وشنو سميتك آمولاي الفيلسوف ؟

عبد البصير : إسمي عبد البصير ..

النمـــــــس : ولد من ؟

عبد البصير : ولد أبي ، رحمة الله عليه، وأبي إسمه عبد السميع ..

القنفـــــود : واسميت امك ؟

عبد البصير : إسمها أسماء ، وهي بهذا ليست إسماً واحداً، ولكنها كل الأسماء (يضحك)..

النمـــــــس : من قبل هاد الساعة فاين كنت ؟

عبد البصير : قبل هذه الساعة لم أكن ، وبعد هذه الساعة لن أكون ، وما أنا إلاساعة ، ولو قلت غير هذا ، لكنت كاذباً ..

القنفـــــود : آش كيقول هذا ؟

عبد البصير : أنا ساعة ، صدقني، تأتي ثم تمضي، وتدور مع الفلك الدوار، وأنت مثلي ، ومثل كل عباد الله ، ساعة ..

القنفـــــود : (يضحك) ألا آسيدي أنا ساعة وربع ، ويمكن نكون ساعتين وللا اكثر ..

عبد البصير : هي ساعة، إذا كنا فيها تضحكنا ، كما تضحك أنت الآن ، وإذا غادرناها ، تبكي الآخرين علينا ..

النمـــــــس : إيوا ، وفاين بالسلامة راك ماشي ؟

عبد البصير : أنا لن أمشي إلى أي مكان ، مادام أن هذا المكان هو كل الأمكنة ، والمهم يا سيدي أنني هنا ..

القنفـــــود : أييه ، هادي عرفناها، وعلاش أنت هنا ؟

عبد البصير : ولم لا أكون هنا ؟ أنا يا سيدي هنا ، وأنت هنا ، وكلنا هنا، ولا أحد فينا يدري لماذا هو هنا ..

النمـــــــس : وا كلام هذا ، أشكون علمك هاد الهلسفة ؟

القنفـــــود : من قبل شفناك أعمى ، وكان عندك فيدك عكاز ..

النمـــــس : ودابا تحللو ليك العينين آلجن ..

القنفـــــود : وكل شي هادا، بلا خبار المخزن ، قل اشكون أنت ؟

النمـــــس : أنت ممثل ياك؟ قلها ولا تخف ..

عبد البصير : كلنا في مسرحية الوجود ممثلون ..

النمـــــس : ياك انت هو اللي كنت أعمى ؟

عبد البصير : أنا ما كنت أعمى ، ولكن بعض الناس هم الذين رأوني أعمى ، وبعضهم الآخر، هم الذين أرادوا أن أكون أعمى ، ومصيبتي أنني صدقتهم ، وأغمضت عيني ، وكان كل ذلك بلا معنى ..

القنفـــــود : أبيه ، ومن بعد آش كان ؟

عبد البصير : عرفت أنهم خدعوني، وتيقنت بأن جمال هذا الوجود يحتاج إلى مليون عين وعين ، وليس إلى عينين اثنتين فقط ..

النمـــــس : وكفاش حتى ، حن عليك الله ، ووليت بحالنا كتشوف ؟

عبد البصير : كنت مصراً على الرؤية فرأيت ..

القنفـــــود : وصافي ؟

عبد البصير : رأيت يوم كنت أعمى ، ورأيت يوم طلقت العمى ، وعلمت أن في المبصرين مثلكما ..

النمـــــس : مثلنا ؟

عبد البصير : كثير من العميان، ومن الصم والبكم ، ومن المقعدين والمعوقين.. لقد حاصرتني الظلمة أعواماً طويلة، حاصرتني وقاومت ، وسدت كل منافذ النور في وجهي وناضلت ..

النمـــــس : (لصديقه) صاحبي ..

القنفـــــود : أم ؟

النمـــــس : اسمعت ؟ خونا كيتكلم على المقاومة وعلى النضال ..

عبد البصير : وكان الضوء الذي في قلبي أكبر وأقوى ، ولذلك انتصرت، لقد رأيت ، وأبصرت ، وما نريده لابد أن يكون ..

القنفـــــود : سبحان الله ، والإرادة بوحدها تكفي ؟

عبد البصير : نعم تكفي ، تكفي وزيادة .. لقد سمعت من يقول، إن الكائنات التي تزحف على بطنها، هي الكائنات التي لم تفكر في الطيران..

النمـــــس : آش كيقول هذا آصاحبي؟

عبد البصير : ولو أنها فكرت فيه، وأرادته، وعشقته، لنبتت لها أجنحة، ولطارت في السماء، ولحلقت مع الطيور المحلقة ..

القنفـــــود : صاحبي.. ياللّه نمشيو نديروا شي حاجة أخرى..

النمـــــس : وللحديث بقية..آلسي الفيلسوف (يخرجان)

7 - المرأة التي تمشي على أرض تمشي ..

(تدخل المرأة من جديد ، وهي تدفع عربتها وتتغنى بلحن حزين، تقترب من عبد البصير)

عبد البصير : يا أيتها المرأة التي تمشي وتغني ..

الصافيـــــة : إنني فعلاً أمشي ، على أرض تمشي ، في زمن يمشي ، ولكنني لا أغني ..

عبد البصير : لا تغنين ؟ عجباً ، وماذا تفعلين إذن ؟

الصافيـــــة : ما أفعله لا أجد له إسماً ، سمه أنت إذا كنت تعرف ..

عبد البصير : (يعود إلى المقعد الخشبي ، ويجلس) هذه امرأة غامضة ، ربما لأنها عاشقة حتى الجنون ، وهل هناك جنون بغير غموض ؟

الصافيـــــة : (تكلم نفسها) قال لي في خطابه ، انتظريني هنا ، خارج حينا القصديري ، وليتني كنت أعرف لماذا ، لماذا في هذا الحي الذي ليس حينا ، وليس هناك، هناك بين أهلنا التعيسين ؟ (يدخل المجذوب، من غير أن يلتفت إلى المرأة)

عبد اللـــــه : هو الذي يعرف كل شيء ، نعم هو وحده ، وليس أنت ولا أنا ، ولا أي واحد فينا ..

الصافيـــــة : هو الذي يعرف ؟ من يقصد الرجل ؟

عبد اللـــــه : صاحبي ومولاي وسيدي ، والذي هو هنا وهناك ، ولا يخلو منه أي مكان ..

الصافيـــــة : يا الله . هذا رجل مجذوب ، وما أظنه ينطق عن الهوى .. وليته يكلمني ، ويحدثني عن مصيري ومصير ابنتي في هذه الليلة المرعبة ، ولكنه ـ لسوء حظي ـ لا يكلم إلا نفسه ..

عبد اللـــــه : من تنتظرين أن يأتي يا امرأة ..

الصافيـــــة : هل سمعت يا فرح ؟ لقد التفت إلي وقال، أبوك سوف يأتي ، الليلة بلاشك يا مولانا ؟

عبد اللـــــه : ومن قال إن عمر هذه الليلة هو ليلة واحدة ؟ إنها الدهر كله .. تنتظرين المهدي المنتظر، أليس كذلك؟

الصافيـــــة : إسمه بن هدي ، وليس المهدي ..

عبد اللــــــه : لست أنا من يخلط بين الأسماء ، ولكنه هو يا امرأة ؟
الصافيــــــة : ماذا ؟ أقلت هو يا مولانا ؟
عبد اللــــــه : وليس هو وحده فقط ، ولكن معه عصبة كبيرة ، وكل واحد فيهم يرى نفسه المنتظر، ويقول أنا المهدي ..
الصافيــــــة : وأنا لا أنتظر إلا بن هدي ، وطلب مني أن ألقاه هنا ، في هذا الحي الفاخر ، ولست أعلم لماذا ؟
عبد اللــــــه : أنت لا تعلمين، ولكن زوجك هذا، يعلم لماذا ..
الصافيــــــة : وطلب مني أن أصطحب معي ابنتي فرح ..
عبد اللــــــه : نعم، ومرة أخرى لا تعرفين لماذا ؟
الصافيــــــة : قلت ، مع نفسي ، ربما كان ينوي أن يدعونا إلى العشاء ، في أحد هذه المطاعم الفاخرة ..
عبد اللــــــه : ربما ، ربما نعم ، وربما أيضاً لا ..
الصافيــــــة : ليتني يا ابنتي فرح ، كنت أعرف ،فيمَ يفكر أبوك ؟
عبد اللــــــه : أبوها لا يفكر يا امرأة ..
الصافيــــــة : لا يفكر ؟
عبد اللــــــه : وما حاجته للتفكير، وهناك اليوم من يفكر له ، ومن يفكر لغيره ؟ والذين يفكرون عادة يا سيدتي، يفكرون في الظلام ، ربما لأن الظلمة تساعد على التركيز أكثر.. (يقول آخر كلمة ويخرج)
الصافيــــــة : الظلام ؟ أنا لم أفهم كلامك يا سيدي ، تعال فهمني ..
عبد اللــــــه : (يطل عليها) وأنا أيضاً ، وحق الله ، لا أفهم من كلامي إلا ما تفهمين أنت، وما يمكن أن يفهم كل الناس .. (يختفي ، يدخل الحاج لمفضل ، وهو رجل بدين ، يرتدي جلباباً ناصع البياض ، ويضع على رأسه طربوشاً أحمر اللون، ويمسك بعصا ، يمشي بزهو كبير، ورأسه إلى السماء ، كل شيء فيه يوحي بأنه من الأغنياء ومن الأعيان) الحاج لمفضل أجمل ما خلق الله هو الإنسان ، وأروع ما خلق الإنسان هو هذه الملابس ، إنها تعطي الذات حجماً خرافياً ، وإذا أضفت الأسماء الكبيرة إلى مثل هذه الأثواب ، فإنه لابد أن تصبح محترماً مثلي ، ولا شيء أهم من أن يقدرك الناس ، وأن يحسبوا لك ألف حساب..

عبد البصير : من يكون هذا الرجل ؟ ما أظنه إلا أحد الأغنياء ، وقد جاء ليحرق ماله في الملاهي .. (وهو يخرج ، يلقى في طريقه عبد الله المجذوب داخلاً)

عبد اللـــــه : (وهو ينظر جهة المفضل) أول مرة رأيت هذا الرجل ، كان له إسم آخر ، وكان له زي آخر ، وكانت له مشية أخرى ، وسبحان مغير الأسماء في دنيا الأسماء ..

عبد البصير : (وهو يكتب في كراسة) وجاء إلى الحي رجل غريب ، رجل يمكن أن أسميه ـ مؤقتاً ـ ماذا أسميه يا ربي ؟ ماذا أسميه ؟

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، سمه ما شئت من الأسماء، ولا تخف ..

عبد البصير : إنه يعرف اسمي ..

عبد اللـــــه : وكل أسماء ذلك الرجل مؤقتة ، واسمه الحقيقي لا يعرفه إلا الله والمخزن ..

عبد البصير : صوت هذا الرجل ليس غريباً علي ، وكم سمعته يوم كنت أعمى ، آه ، تذكرت، إنه صوت عبد الله المجذوب ، واليوم أراه صورة وصوتاً ..

عبد اللـــــه : يخيل إليك فقط يا عبد البصير ، أنت اليوم لا تراني ، ولا ترى أي شيء، وكما كنت من قبل أعمى ، فإنك مازلت أعمى ..

عبد البصير : ماذا تقول يا عبد الله ؟ إنني فعلاً أرى ، وأحاول أن أكتب ما أرى ..

عبد اللـــــه : أتكتب مسرحية يا عبد البصير ؟

عبد البصير : نعم ، وهي من وحي هذا الواقع ، أو قل أحسن ، هي الواقع نفسه ..

عبد اللـــــه : وعن أي واقع تبحث يا عبد البصير ؟ عن ذلك الذي حدث يوماً، والذي وقع وكان ، وأنت لم تعشه ، ولم تره ، ولم تعرفه ؟ أم عن ذلك الواقع الآتي، والذي هو الساعة في رحم الغيب ، والذي لا تعرف عنه أي شيء ؟

عبد البصير : أعترف لك يا عبد الله ، أن هذه الأسئلة أكبر مني ، وما أنا إلا رجل كان أعمى ، وأصبح مبصراً ..

عبد اللـــــه : ولم لا يكون العكس هو الصحيح يا عبد البصير ؟

عبد البصير : يكون العكس ؟ كيف ذلك يا عبد الله ؟

عبد اللــــه : أقول لك كيف يا عبد البصير، أنك كنت مبصراً ، وأصبحت اليوم أعمى ..

عبد البصير : لا لا ، أنا مبصر يا عبد الله ، والدليل والحجة، هو أنني أرى، وأكتب ما أرى..

عبد اللــــه : ولكن ، ما تكتبه الآن يا عبد البصير ، لم يكن ..

عبد البصير : أنت تمزح بلاشك يا عبد الله ؟

عبد اللــــه : وما سوف يكون غداً ، لا يمكن أن يكتبه كاتب من الناس ..

عبد البصير : ومن يكون الذي .. سوف يكتبه ؟

عبد اللــــه : (ينظر إلى السماء ، ولا يقول أية كلمة)

عبد البصير : أسألك يا عبد الله، بأي لون أكتب هذه المسرحية ؟ بلون الفرح الأبيض ؟ أم بلون الموت الأسود ؟ أم بلون العيش الرمادي ؟

عبد اللــــه : أكتبها بلون الماء ؟

عبد البصير : وهل للماء لون يا عبد الله ؟

عبد اللــــه : اكتبها بلون الحياة ، واجعلها ضاحكة بدمع ، ودامعة بقهقهات عالية ، إن الإنسان له عينان ، لا تنس هذا يا عبد البصير، عين يضحك بها ، وعين يبكي بها .. هو يضحك ويبكي بالوجه نفسه ، وفي اللحظة نفسها، وما هذا العمر إلا لحظة هاربة.. هاربة مثلي (يخرج مسرعاً، يدخل المخبران من الجهة الأخرى ، وهما يلاحقان عبد الله ببصرهما)

النمــــس : اسمعت لكلام لمهلسف كفاش داير أصاحبي ؟

القنفــــود : اسمعت ، حقاً ، هذا الرجل ماشي عادي ، وكلامو غريب شي شوية ..

النمــــس : ما شي غير شويه آصاحبي ، آقول غريب بزاف ..

عبد البصير : هذا رجل مبروك ومجذوب ، وكلام المجذوب ليس كلامه دائماً ..

القنفــــود : ليس كلامه ؟ وكلام من هو آصاحبي ؟

عبد البصير : كلام الآخر الذي فيه ، وهو، ليس في كل الأحوال هو ، وما هو، إلا حال وأحوال ، فمرة، يكون هو الذي يتكلم ، ومرة أخرى يكون الآخر هو الذي ينطق بداخله ، أو هو الذي ينطقه بما يشاء ..

النمـــــــس : سبحان الله ، ما عمرني ظنيت باللي الرجل يمكن أيكونو فيه زوج دالناس..

عبد البصير : نعم ، هو جسدان اثنان ، الأول هو الجسد الساكن ، والثاني هو الجسد المسكون ..

النمـــــــس : وشكون ايكون ساكنو آصاحبي ؟

عبد البصير : ماذا أقول لك ؟ هو جني بلاشك ..

النمـــــــس : بسم الله الرحمن الرحيم

عبد البصير : وقد يكون الجني ذكراً ، وقد يكون أنثى، وقد يكون خنثى ، وقد يكونان معاً ، الذكر والأنثى ، ويكون معهما الأولاد والأحفاد ، وقد يكون للزوج أم ، وتكون له حماة أيضاً ..

القنفـــــود : واسبحان الله ، ودابا هاد الجن ، ولا هاد الجنية ، ولا الدرية ديالهم، ما لقاو فين يسكنوا غير فهاد السي عبد الله مسكين؟

النمـــــــس : أزمة السكن بلاشك آصاحبي ..

القنفـــــود : العجب هذا ، ودابا حتى هما بحالنا ، عندهم أزمى فالسكنى؟

النمـــــــس : ايوا هاد الشي اللي كيظهر آصاحبي ..

عبد البصير : وعليه، ومن باب النصيحة ، فإنني أوصيكما به خيراً، وأقول لكما ـ ودائماً من باب النصيحة ـ ابتعدا عنه هذا الرجل .. ابتعدا عنه بالقدر الذي تستطيعان ..

النمـــــــس : إيوا ، إلى كان الجن ، اللي هو الجن ، ما قدرش يحل هاد المعضلة الخطيرة، واللي هي أزمة السكن ، كفاش بغينا يحلها البشر ، واللي هو غير بشر مسكين ؟

القنفـــــود : المخزن معذور أصاحبي ، وهاد الناس غالطين ، وغالطين بزاف .. يا الله ، نمشيو نقلبوا على ما نشوفوا ، وعلى ما نسمعوا، وعلى ما نقولوا ..

النمـــــــس : يالله آصاحبي (يخرجان)

8 - الشيخ والمريد والطريق ..

(يدخل عبد الله مسرعاً كعادته ، وكأنه يبحث عن شيء ، أو عن أحد من الناس ، أو كأنه مطارد من جهة ما)

عبد اللـــــه : هذه الجدران العالية، وهذه الأبواب وهذه النوافذ، إنها تخفي الذنوب والمعاصي ، وهذه الأجساد التي ترتدي الأقنعة والأزياء، إنها تخفي الجثث، وهذه الحياة التي نرى ، أو لا نرى، والتي تسعدنا وتشقينا، هذه الحياة الكاذبة لا تخفي شيئاً آخر إلا الموت، إنني أشم رائحة الموت..

عبد البصير : (وهو يكتب) لقد حضرت يا عبد الله ..

عبد اللـــــه : وهل غبت من قبل حتى أحضر الآن ؟

عبد البصير : هل أنت حقاً مجذوب يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : يا هذا، الجنون إشاعة، وقد يكون تهمة ، أو يكون وشاية كاذبة، أنا لست من الدراويش ولا من المجاذيب ، ولا من أهل الشطح والردح، ولا من أصحاب الجهالة والبطالة ، وما أنا إلا إنسان يرى ويبصر ، وعندما يرى، يفكر في الذي يرى ، ولا يقدر أن يكتم حقيقة ما يرى .. إنني في الأصل بصر وإرادة ، وعندما أريد شيئاً، أمشي إليه ، وأنا أقول ، إن الطرق القصيرة يا عبد الله ، تطيلها المنعرجات الكثيرة والكبيرة ..

عبد البصير : أنت رجل غريب يا عبد الله ، وليتني كنت أفهمك ..

عبد اللـــــه : أنا رجل مشاء، وأنت رجل قاعد ، وكيف تريد أن تفهمني، أو أن تفهم هذا العالم الذي يجري ؟

عبد البصير : ولماذا لا تكف عن المشي يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : إنني أهرب من سجن هذا المكان ، وأهرب من قيد هذه اللحظة، وإنني لا أستطيع أن أقيم إلا في المشي، وفي التجوال، وفي السفر والترحال، وحتى عندما أغفو، أو أنام لحظة، فإنني أمشي أيضاً، ولا أحلم نفسي إلا سائراً على الأرض أو محلقاً في السماء ..

عبد البصير : ولو عرضت عليك أن أكون مريدك ، فهل تقبل يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : وأنا ، لو عرضت عليك أن تمشي في طريقي، هل تقدر ؟

عبد البصير : هل أقدر ؟ إنه لا يمكن أن أعدك بشيء ، ولكنني سأحاول ..

عبد اللـــــه : حاول أن ترى أولاً يا عبد البصير ، وجاهد من أجل أن ترى بشكل صحيح، وأن تتحرر من عماك ومن صممك ومن جهلك ومن قيدك ومن مكانك ومن لحظتك ، وأن تكون مشاءً مثلي..

عبد البصير : نعم، وبماذا تأمرني الآن يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أنا ؟ أنا لست الآمر يا ولدي، ولست الناهي ، وما الأمر إلا لصاحب الأمر..

عبد البصير : حدثني عن أجمل الموتى ، من هو ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يحيا ، وهو من يموت مؤمناً بأنه سوف يحيا، وهو الذي يظل دائماً هو هو ، ينقضي العمر ويمضي، ويبقى هو ..

عبد البصير : وأسوأ الموتي يا شيخي ، من عساه يكون ؟

عبد اللـــــه : هو من يموت بعد أن يموت ، ومن يعيش عيشاً يشبه الموت ، وهو من يكفن ويدفن، ويكون ذلك عصراً ..

عبد البصير : أي عصر تقصد يا شيخي ؟

عبد اللـــــه : عصر اليوم أولاً ، وعصر التاريخ ثانياً ، وعصر العمر ثالثاً، وعصر الأبدية رابعاً ..

عبد البصير : ولو خيروك يا عبد الله ، ماذا كنت تختار ؟

عبد اللـــــه : أختار ذاتي ، ومعها أختار الحق والحقيقة ، وأختار الجمال والإكتمال ..

عبد البصير : وأيهما تفضل يا شيخي ، أن تكون جندياً عادياً في جيش منتصر ، أو أن تكون قائداً كبيراً في جيش منهزم ؟

عبد اللـــــه : لا أحب الهزيمة ، ولا أريد أن أقترب من المنهزمين ..

عبد البصير : وأيهما تختار، أن تكون الأول في الجحيم ، أو تكون الأخير في النعيم ؟

عبد اللـــــه : ماذا أقول لك؟ أفضل أن أكون الأول ، ولا يهمني بعد ذلك ، أين يكون ذلك ، في الجنة أو في النار..

عبد البصير : وهل تريد أن تكون الأول دائماً ، وفي كل شيء ، وفي كل الحالات؟

عبد اللـــــه : نعم ، في كل شيء .. إلا في شيء واحد ..

عبد البصير : وما هذا الشيء يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : إنه الموت .. إنني أحب أن أكون أول من يحيا وآخر من يموت..

عبد البصير : بحسب رأيك، من هو الإنسان الأعمى في نظر الناس؟

عبد اللـــــه : هو من يرى نفسه ولا يراهم ..

عبد البصير : ومن أيضاً ؟

عبد اللـــــه : وهو الذي يخالفهم، ويرى غير الذي يرون، والذي لا يفكر كما يفكرون..

عبد البصير : هل تريد أن تصبح غنياً يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أريد فقط أن أكون من أصحابي ، والذين هم أغنى كل الأغنياء، وأسعد كل السعداء ..

عبد البصير : من تقصد يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أقصد الذين يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الفقير مثلي يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : أنصحه ألا يتملق الأغنياء ..

عبد البصير : وبماذا تنصح الأغنياء ؟

عبد اللـــــه : بألا يأكلوا رزق الفقراء .. يا عبد البصير، إنني لا أنتظر من الأغنياء أي شيء ـ ولكنني أتوقع من الفقراء كل شيء ، لأن الفقر كافر وابن كافر ..

عبد البصير : بعض الناس كرماء يا عبد الله ، ولكن بالوعود فقط ، فما قولك في هذا ؟ أليست الكلمة الجميلة صدقة ؟

عبد اللـــــه : الوعود جميلة يا ولدي ، وأجمل منها الوفاء بها ، ومن أين يأتي الوفاء في غير زمن الوفاء ؟

عبد البصير : أنت تنطق بالحكمة يا عبد الله ..

عبد اللـــــه : يحدث لي أحياناً أن أنسى الكلام ، ويسألني أهلي وصحبي ويقولون ، هل ضيعت لسانك يا عبد الله، وأصبحت أبكم وأخرس ؟ وأقول لا ، أنا فقط ضيعت ذاكرتي، أو هي التي ضيعتني، وأصبحت أجوف من الداخل ، وأجد نفسي مضطراً لأن أتعلم اللغة من جديد ، وأن أبدأ من نقطة الصفر، وأن

أستعيد ذلك الذي كنته يوماً ، والذي كان أصدق مني ..

عبد البصير : وهذا البلد يا عبد الله ، هل فيه عدل ؟

عبد اللـــــه : نعم ، فيه عدل والله ..

عبد البصير : وما دليلك على ذلك ؟

عبد اللـــــه : دليلي أن فيه وزارة كبيرة للعدل ..

عبد البصير : وماذا غير الوزارة ؟

عبد اللـــــه : وفيه وزير محترم للعدل ، وفيه محاكم وقضاة ومحامون ، وكل هذا ، ألا يكفي ؟

عبد البصير : يكفي وزيادة ..

عبد اللـــــه : اشتقت إلى المشي ، ما رأيك أن نمشي معاً يا عبد البصير ؟

عبد البصير : المشي معك ، كالإنصات إليك ، شيء جميل يا سيدي .. (يخرجان) (يدخل الشحاذ درهمان وهو يسوق دراجته الهوائية)

درهمـــــــان : صدقة لله يا محسنين ، أعينوا هذا الضرير الفقير ..

(يدخل المخبران القنفود والنمس)

النمــــــــس : سبحان الله، أعمى ويسوق الدراجة ..

درهمـــــــان : أنتم ما رأيتم غير الأعمى اللي كيسوق الدراجة، وغاب عنكم، اشحال من اعمى اللي كيسوق أمة ..

القنفـــــــود : (وهو يقترب من درهمان) يمكن لي نعطيك أيها الشحاذ هذه الورقة المالية (يلوح له أمام عينيه بورقة مالية)

درهمـــــــان : ما هذا الشي الذي بيدك يا محترم ؟

القنفـــــــود : ورقة مالية محترمة ..

درهمـــــــان : الله الله ، ورقة زرقاء ، من قبيل المائتي درهم المحترمة، هذا يوم العز الأكبر.

القنفـــــــود : هادي شفتها يا ولد الكلب ..

درهمـــــــان : رأيتها بقلبي ، والله العظيم، وقلبي صادق دائماً .. ها ها ..

القنفـــــــود : وغير بقلبك؟

درهمـــــــان : وشممتها بأنفي أيضاً ، أنا رجل شمام ، وكنشم في الدرهم

الألف والألفين ، ولو كانوا على بعد يومين ..

النمـــــس : أنت ضرير ولكن كتشوف ؟

درهمـــــان : أحياناً فقط، أنا أعمى ، بحال كل العميان في هذا الزمان ، ولكنني أشم دائماً..

القنفـــــود : وحنا في حاجة إلى هاد الموهبة يا صاحبي ؟

درهمـــــان : أية موهبة ؟

القنفـــــود : موهبة الشم ، قل لي بعدا، واش تقبل تشتغل شمام بحالي؟

درهمـــــان : أفكرأولاً ، وأجيبك ثانياً ، ، والأجر يا صاحبي شحال ؟

النمـــــس : مرتفع جداً جداً ..

درهمـــــان : اشنو نقولك ؟ لا أفكر يا صاحبي، وأقبل من الآن وأمري إلى الله .. (يضحكون) ولكن، بشرط أن أحتفظ بحرفتي الأصلية؟

القنفـــــود : واشمن حرفة ؟

درهمـــــان : حرفة الشحاذ الأعمى ..

القنفـــــود : طبعاً طبعاً ،لأنها هي الأصل ، وهي القناع ، وهي الزي الذي كيخفي اللعبة.. (لصديقه) صاحبي ، وللينا حتى احنا كنتكلموا بحالو ..

درهمـــــان : الله يستر، تبهدل الزمان ، حتى أصبحنا حتى احنا، مثقفين على آخر ايامنا ..

القنفـــــود : الآن، وقد أصبحنا زملاء، ابغيت انسألك ، ونتمنى أن تجاوبني بكل صراحة..

درهمـــــان : بصراحة ؟ بصراحة مطلقة يا صاحبي، أولا غير، نصف نصف ؟ راه كل حاجة بثمنها ..

القنفـــــود : (بالعامية) أنت ووجهك آصاحبي ..

درهمـــــان : وأي وجه من وجوهي تريد، وأنت كتعرف بأنني شحاذ ، وأن للشحاذ المحترف ألف وجه وجه ..

النمـــــس : باغي انسألك، واش أنت بالحق أعمى ؟ قلها وخذ مائة درهم أخرى ، حلال عليك ..

درهمـــــان : أنا ؟ هاها .. أنا رجل مبصر، ولكن ، أعماه الفلس وأعماه الدرهم ، وأعماه الدينار والدولار ..

النمـــــــس : آه ، هذا الشي اللي كنت كنعرف ، إذن فأنت في الأصل مبصر آصاحبي ؟

درهمـــــــان : وكلنا في الأصل مبصرون يا صاحبي ، ولكن المال أعمانا أعمانا كلنا ، فمنا من أعماه كثيراً، ومن أخرسه ، وأنا ـ ولا فخر ـ منهم، وفينا اللي غيرعورو ، أولا غير حولو فقط ، أو أصابه بعمى الألوان، وأنا، بحمد الله ، ماشي منهم .. (يمتطي درهمان دراجته وينطلق ، يخرج المخبران وهما يضحكان)

النمـــــــس : رد بالك أدرهمان ، عنداك تمشي تدوز فيك شي طريق عميا..

9 - جوقة العميان في زي الإيمان ..

(تدخل مجموعة العميان من جديد، ولكنها هذه المرة في زي مختلف ، بعض أعضاء المجموعة يستكملون لبسهم ، يرتدون الجلاليب البيضاء، ويلفون على رؤوسهم العمائم ، ويساعدون بعضهم بعضاً في تركيب اللحى، يظهرون هذه المرة أكبر سناً ، ويحاولون الظهور بمظهر الورع والوقار)

القصبـــاوي : لقد غيرنا الأزياء ، وهذا لا يكفي يا أصحابي ..

موســـــــى : كيف لا يكفي ؟

القصبـــاوي : إنه لابد أن نغير الحالات أيضاً ..

عـــــــــواد : وسوف نغيرها إن شاء اللّه ، اطمئن، سنغيرها ..

القصبـــاوي : لقد علمتنا المهنة، أن نعرف ، أن لكل حالة لبوسها ..

فرحــــــــان : نعم ، لها لبوسها ، ولها قناعها أيضاً ، والويل الويل لمن ليس له قناع في مأدبة الضباع..

القصبـــاوي : حفل السكارى له زيه الخاص يا أصحابي ..

موســـــــى : وقد كنا فيه منذ قليل ، وأدينا نمرتنا ، وأطربنا ، وعزفنا ، وغنينا حتى بحت حناجرنا..

فرحــــــــان : وشطحنا، و(ردحنا) وأضحكنا الحمقى علينا ، وقدمنا مشاهد بهلوانية من فن الحلقة . .

عـــــــــواد : ثم أعطونا رزقنا ، وخرجنا ، وها نحن الآن هنا ..

القصبـــاوي : وطقس المؤمنين الصالحين له زيه..

موســـــــى : ونحن الآن من المؤمنين الصالحين ..

عـــــــــواد : أليست لديكم لحية غير هذه ؟ (وهو يمسك لحية بيده)

القصبـــاوي : وهذه (مالها) ؟

عـــــــــواد : انظروا ، إنها أكبر من وجهي ..

القصبـــاوي : وربما كان وجهك أصغر منها (يضحكون)

عـــــــــواد : إنني أرتدي في اللحية مقاس أربعين ..

موســـــــى : وهذه اللحية المباركة، ما هو مقاسها ؟

عـــــــــواد : أظنه ـ واللّه أعلم ـ يفوق الخمس والخمسين ، أو التسع والتسعين (يضحكون)

القصبـــاوي : هذا كل ما لدينا، ولقد اكتريت لكم هذه اللحى من فرقة مسرحية ، وهذه اللحية هي التي أدى بها الممثل محمد التسولي دوره التاريخي في مسرحية (أولياء الله وأعداء الله) ..

فرحـــــان : وأي دور مثل بها ا لمعلم ؟

موســـــى : دور أبي مسيلمة الكذاب (يضحكون)

فرحـــــان : ونحن كلنا اللية ، سنؤدي أدواراً مشابهة ..

القصبـــاوي : لا تضيعوا الوقت ، خذوا (يوزع عليهم المسبحات) ما هي إلا ساعات من العمل ، وسوف تعودودون إن شاء الله تعالى إلى وجوهكم القبيحة وإلى عاداتكم السيئة ..

موســـــى : من كثرة الوجوه التي ارتديناها ، ضيعنا وجوهنا الحقيقية ..

القصبـــاوي : ومتى كانت لكم وجوه حقيقية يا أولاد الحرام ؟

عـــــواد : متى ؟ ربما عندما كنا في بطون أمهاتنا .. (يضحكون)

موســـــى : هذه هي مهنتكم ، ومصيركم هو هذا، والقبض على الخبزة الهاربة ليس سهلاً ..

القصبـــاوي : أنت (لموسى) ستتكفل بأمر هذه المبخرة النحاسية ..

موســـــى : إن شاء الله ، وسأجعلها تقول وهي تغني (أنا وحدي انضوع لمكان ، أنا وحدي انضوع لمكان)

القصبـــاوي : أما أنت .. (لفرحان) فمهمتك أن تتولى هذه (البنادير) وأن تبحث لها عن (مجمر) كبير ، وأن تنفخ في جمره ، وأن تتولى تسخينها كلما بردت ، هل سمعت ؟

فرحـــــان : نعم فهمت ..

عـــــواد : يعلم الله ، كيف نبدو الآن لمن يرانا ؟

موســـــى : نبدو وكأننا هربنا من التاريخ ، أي من زمن كليب بن ثعلبة ، أو أننا في شهر رمضان الأبرك ، وقد خرجنا ـ اللحظة ـ من مسلسل ديني ..

عـــــواد : والله صدقت يا أبا صندلة ، ولكن دون هذه النظارات يا أخانا في الله (وهو يحاول أن ينزع له نظاراته)

موســـــى : كل الحكمة في هذه النظارات يا مغفل (وهو يعيد النظارات)

القصبـــاوي : أيها الناس، رجاء أن تمنحونا شيئاً من الانتباه ، وأن تتحلوا بالفضيلة وبالأخلاق الحسنة ، وأن تتجنبوا اللغو ، وأن تكونوا

في مستوى اللحظة التاريخية ..

موسى : (لفرحان بهمس) لدي شعور وكأننا أمام طارق بن زياد ، وأن اللحظة هي لحظة العبور الأكبر ، إن الشهادة قادمة لا ريب فيها ..

فرحان : اللّه يستر ، إنني لا أعرف فن العوم يا صاحبي ..

موسى : (ماعليهش) يكفي أن تعرف فن الغوص ..

القصباوي : أنتم الذين تعودتم على إقامة الأفراح والليالي الملاح ، في الأعراس والمواسم ، وفي الأندية الليلية تحت الأرض ، وفي الكباريهات المشبوهة ، ستجدون أنفسكم في أجواء روحانية مختلفة ..

فرحان : (لموسى) هذا امتحان عسير يا صاحبي ، وأنا ما أخرجني من المدرسة ، ورمى بي إلى هذه الحرفة الملعونة إلا الامتحانات ..

موسى : تجمل بالصبر ، أوصيك بالصبر ثم الصبر، واعلم أن اللّه معنا ..

القصباوي : سندخل بيتاً طاهراً إن شاء اللّه ..

عواد : إنك تخيفنا آلمعلم ، نحن ما تعودنا أن ندخل البيوت الطاهرة..

القصباوي : ولكننا هذه المرة سندخلها ..

عواد : (لنفسه) مؤكد سندخلها، ولكن ، هل سنخرج منها سالمين ؟

موسى : آلمعلم ..

القصباوي : أنا لست (المعلم) الذي تعرف ، هل تفهم ؟ وهذه الكلمة دعها للأعراس ، ولمجالس اللهو والعربدة ، أما هذه الليلة ، فهي ليلة الإيمان، وليلة الذكر ، وليلة الإنشاد الروحي ..

فرحان : مرة أخرى أقول اللّه يستر ..

موسى : طيب ، من الآن لن نقول لك المعلم ، ولكن ، في مقابل هذه الكلمة المشبوهة والملعونة ، ماذا نقول لك آ .. لمعلم ؟

القصباوي : قولوا الشيخ .. قولوا مولانا .. قولوا سيدنا .. قولوا لمقدم ، وإذا تناديتم فيما بينكم، فلا تقولوا إلا أخي في اللّه ، وألا تتحدثوا عن شيء، وإلا وتقولوا إن شاء اللّه ، هل سمعتم ؟

عواد : سمعنا، إن شاء اللّه ..

فرحـــــــان : وحتى هذا العدو اللدود أقول له أخي (مشيراً إلى موسى)

موســــــــى : رغماً عنك ، فأنت من الآن أخي ، وأنا أخوك إلى إشعار آخر، أنت أخي عبد التواب، وأنا أخوك عبد المولى، وأما أبونا فهو المدعو إبليس (النحيس) (يضحكون)

القصبـــاوي : نحن ذاهبون الآن إلى طقس ديني ..

فرحـــــــان : وهذا الطقس يا مولانا ، أليس فيه عربدة ؟

القصبـــاوي : فيه عربدة روحية يا ولدي ..

موســــــــى : وخمرته يا مولانا ، كيف هي ؟ وبأي لون هي ؟

القصبـــاوي : سألتهم عنها فقالوا ، هي خمرة ربانية سماوية ، ليس لها لون، وليس لها طعم ، وليس لها رائحة ..

عـــــــــواد : خمرة سرية إذاً يا مولانا ؟

القصبـــاوي : نحن ذاهبون إلى حفل ديني ، روحي ، تقيمه نسوة من أهل الله ، تقرباً من الله ، ومن حبيبنا رسول الله ..

جميعـــــــــاً : صلى الله عليه وسلم ..

القصبـــاوي : ولقد أكرمنا الله تعالى ، ووقع الاختيار علينا ، دون كل خلق الله، في كل بلاد الله ..

موســــــــى : الحظ أعمى ..

فرحـــــــان : أنت هو الأعمى يا .. أعمى ..

القصبـــاوي : وإذا هدانا الله ، فمن هذه الليلة سنغير حرفتنا ، وسنتوجه إلى الذكر وإلى الأمداح وإلى الإنشاد الصوفي ، وهل تعرفون لماذا وقع الإختيار علينا ؟

عـــــــــواد : لماذا ؟

فرحـــــــان : لأن سمعتنا الطيبة في عين الذئاب وصلت إلى كل الناس ..

القصبـــاوي : لا ، بل لأننا فقط عميان ، ولأننا لا نرى ..

موســــــــى : (لنفسه) ومتى كان العميان لا يرون ؟

القصبـــاوي : سندخل إن شاء الله بيتاً محترماً ، يفيض بالإيمان وبالتقوى، وسنكون قريبين جداً من نسوة محجبات ، يرين وجوهنا الملتحية ، ولا نراهن ، ولا نسمعهن، وسيسمعن شدونا ، ويطربن لإنشادنا ، ولا شيء غير هذا ..

فرحـــــــان : هذه مهمة ليست سهلة أبداً ، ماذا أقول لكم يا إخوتي في الله؟

اللّه يستر ، ويخرج العاقبة على خير ..

القصبــاوي : وأعود مرة أخرى ، وأكررها من جديد، إن المهمة فعلاً ليست سهلة ، ولكنها مفيدة ومربحة ومجزية ، وستخرجون منها ـ إن شاء اللّه تعالى ـ سالمين غانمين ، وجيوبكم ممتلئة حتى التخمة ..

عـــــــواد : (لنفسه) ليته يكون صادقاً ..

القصبــاوي : سنكون أمام نسوة ، من غير ذلك الصنف الذي تعرفون ، نسوة صالحات ، متعبدات ، طاهرات ، عفيفات ، قانتات ..

موســـــــى : وما معنى قانتات يا مولانا ؟

القصبــاوي : واللّه يا ولدي ، لا أدري ، ومن قال في الناس لا أدري ، علمه اللّه ما لا يدري ، لقد سمعناهم يقولون فقلنا ، هذا كل ما في الأمر ، وفي البداية والنهاية، فأنا لست فقيهاً ، وما أنا إلا (جوايقي) مثلكم والسلام ..

فرحـــــان : وماذا سوف نغني لهن يا .. مولانا ؟

القصبــاوي : قلنا ، نحن لن نغني ، ألا تفهم ؟

موســـــــى : سننشد لهم نشيداً صوفياً ، سماوياً ، اسمه (السماوي . اللّه يداوي)

الجمـيــــع : (وهم يعزفون ، ويغنون ، ويرقصون) السماوي اللّه يداوي أصحاب الحال ..

القصبــاوي : لا لا ، قلت لن نغني ، ألا تفهمون ؟ سننقر على الدفوف فقط، وسنقوم بالإنشاد، وسنحرص إن شاء اللّه ، على أن يكون الجو ربانياً، تحضره الملائكة وحدها ، وتغيب عنه الشياطين..

عـــــــواد : تغيب عنه الشياطين، ونحن أخطر الشياطين، ولافخر ..

فرحـــــان : (لنفسه) اللّه يستر ، هذه مغامرة انتحارية ، فإما أن تكون (ربحة) وأن تكسبنا الأجر مع اللّه والعباد ، وإما أن تكون (ذبحة) وأن ترمي بنا إلى (قعر) الواد ..

القصبــاوي : على بركة اللّه إذاً ، وليتحرك الموكب الرباني ..

(يخرجون وهم يرددون الأمداح النبوية)

10 - هي التي تميل وليس أنا ..

(يدخل بحار، وهو في حالة عربدة ، يتمايل ، وهو يغني)

البحـــــار : سأغني ، وأغني، وأعرض على الخلائق إبداعي وفني (يغني) يا ليلي ، يا عيني (يتوقف عن الغناء) يا أيها الليل ، أتسمعني؟ إن كنت تسمعني ـ كما أسمعك ـ فغن معي ، غن معي ، وقل للنجوم التي في السماء أن تغني معي، وقل للبحر أن يغني ، وقل للموجة الهاربة أن تغني ، قل لها (يغني) يا موجة غني ، عالبحر غني .. (تدخل الصافية ، تتأمل البحار من بعيد)

الصافيـــة : هذا الرجل ليس هو ..

البحـــــار : يا ليل، ألف مرة قلت لك، أنا لست هو، وهو ليس أنا ، وكل واحد له أناه، وهو حر في أن يفعل بها ما يشاء .. (يدخل المخبران)

الصافيـــة : ولا أحد في هذين الرجلين الغامضين يشبهه ..

البحـــــار : لا أحد في هذا الليل يمكن أن يشبه إلا نفسه ، ومن حاول أن يكون غيره ، فإنه لابد أن يضيع روحه ، وأن يفقد نفسه .. (تخرج الصافية، يقترب المخبران من البحار)

النمــــس : أنت أيها الرجل ، علاش ما كتمشيش بحال عباد الله كاملين؟

البحـــــار : وكيف يمشي عباد الله (كاملين) ؟

النمــــس : هكذا (يمشي بطريقة آلية) برجولية ونخوة، وبكل رصانة وتوءدة..

البحـــــار : أهكذا تسير دائماً ؟

النمــــس : دايماً، هاك شوف، حل عينيك وشوفني مزيان وآنا كنمشي، مرفوع الهامة..

البحـــــار : جميل، جميل جداً ..

النمــــس : ومنتصب القامة ..

البحـــــار : أما أنا، فإنني أمشي كما تمشي الأيام يا صاحبي ، انظر جيداً، وتأمل، واستفد (وهو يمشي على أطراف أصابع قدميه

ويتمايل ، وكأنه يرقص الباليه)

النمـــــس : امش امقاد ، اعلاش كتتمايل ؟ علاش ؟

البحـــــار : لست أنا الذي أتمايل يا صاحبي ..

النمـــــس : كفاش ماشي انت، وانا بعيني شايفك، وانت كتحيل وتميل؟ آدوي ، واشكون يكون من غيرك انت ، اشكون ؟

البحـــــار : (بهمس له) أقول لك ولا تقول لأي أحد ؟

النمـــــس : واغير قول، وعليك الأمان ..

البحـــــار : (بهمس) الأرض ..

النمـــــس : شنو قلت ؟

البحـــــار : هذه الأرض هي التي تدور يا صاحبي ، وليس أنا ، وهي التي تميل، مرة إلينا ـ إذا شاءت ـ وملايين المرات إلى غيرنا ..

النمـــــس : الأرض كتدور ، وبلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : الله أعلم ..

النمـــــس : هادي معلومة مهمة وخطيرة ، ولازم نسجلها .. (يخرج كراسة وقلماً ويكتب)

البحـــــار : سجلها .. هذه الأرض تدوريا صاحبي ، وتتمايل ، وقد يحدث أن ترقص رقصاً شرقياً أيضاً ، وأن تهز البطن هكذا .. (حركة رقص)

النمـــــس : هكذا ؟ (بحركة رقص) وبلا خبر المخزن ؟

البحـــــار : تماماً ، وأن تهز الأرداف والأكتاف أيضاً ..

النمـــــس : وآ لفوضى هادي ، هكذا ؟ (يهز كفيه وردفيه)

البحـــــار : تماماً، ويمكنك أن تسجل هذا بكل أمانة ، وأن تضيف أن هذه الأرض غير مستوية ، وأنها منحرفة ..

النمـــــس : شنو منحرفة ؟ يعني سلكوطة ؟

البحـــــار : تماماً ..

النمـــــس : وكل شي هادا بلا خبار المخزن ؟

البحـــــار : وتريدني يا صا حبي أن أمشي من غير أن أتمايل ؟

النمـــــس : لا غير تمايل انت .. انت ما عليك كلام ..

البحـــــار : الأرض غير مستوية يا صاحبي ..

النمـــــس : هادي سجلناها ..

البحـــــــار : والأيام غير مستوية ..

النمـــــــس : حتى الأيام ؟

البحـــــــار : وأرزاق الناس أيضاً، غير مستوية ولا متساوية، والويل الويل لمن لا يميل مع الأيام والليالي والأمواج التي في البحار هكذا ، ولا يدور مع الساعة ، ساعة بعد ساعة (يدور حول نفسه مثل الدراويش) ولمن لا يرقص كما ترقص الشيخات المشبوهات في الأماكن المشبوهة ..

النمـــــــس : هكذا .. (يرقص)

البحـــــــار : تماماً .. الله يرضي عليك ، تفهم في كل شيء (آلعفريت) ؟

النمـــــــس : والآن، وبعد ما أصبحنا أصدقاء ، واش يمكن نعرف اسمك؟

البحـــــــار : اسمي ؟ (يضحك) هل تصدق ؟ لقد ضيعت اسمي، وحق الله ، وبرغبتي وإرادتي ضيعته أو ضيعني ، كل ما أعرفه أنني بحار، ومؤقتاً ، يمكن أن تسميني الرايس ، وإذا شئت الدفة ، سمني الناسي..

النمـــــــس : الناسي ، هذا اسم رواية ولاّ مطلع أغنية ؟

البحـــــــار : لا أذكر يا صاحبي ، وما أنا الآن إلا حالة من الحالات ، حالة عابرة وطائرة .. حالة فرح أو حالة انتشاء ، أو حالة وجد ، أو حالة تحلل وفناء في هذا الهواء ، دعني من كثرة الأسئلة ولا تفسد علي نشوتي..

النمـــــــس : وفاين هي البطاقة آلرايس ؟ بطاقة التعريف ديالك ؟

البحـــــــار : لا ، ليست لدي بطاقة ، ولا صورة ، وإنني أسألك، ألا أجد في جيبك مرآة صغيرة ؟

النمـــــــس : مرآة ؟ ولاش بغيتي المرآة آ صاحبي ؟

البحـــــــار : أريد أن أرى هذا الوجه الذي أحمله في رأسي ، لأعرف من أكون..

النمـــــــس : لعجب هذا ، انسيت حتى اسميتك آ صاحبي ؟

البحـــــــار : وهل دخلت هذه الحان ، ثم خرجت منها ، إلا لأنسى ؟ لقد دفعت ثروة كبيرة في مقابل هذا النسيان الجميل ، ألا تشعر أنت أيضا ، ولو في بعض المرات، أنك في حاجة لأن تنسى شيئاً، أو تنسى كل الأشياء، وأن تبدأنفسك من الصفر، وأن

تكون من تشاء ، وأن تصنع بحياتك ما تريد ؟

النمـــــس : والله ، شنو نقولك ؟ بحال هاد الأسئلة هادي ، راها كبيرة علي، وبزاف آصاحبي ..

البحـــــار : تسألني عن اسمي، وأقول لك، لقد جئت متأخراً قليلاً يا صاحبي، ولو جئتني قبل ساعتين، لوجدتني حاضراً، ولعرفتك بنفسي، ولقلت لك ، أنا فلان ابن فلان، ولكنني الآن في حال الغياب ، إنني الآن لست هنا ، وأنا لست أنا ..

النمـــــس : كفاش لست هنا، وانت هنا ؟

البحـــــار : وما عليك يا صاحبي ، سوى أن تؤجل سؤالك إلى الغد ، وإذا لقيتني، فإنني سأجيبك .. سلم لي على أم الأولاد، وعلى كل الأولاد ، ذكوراً وإناثاً .. (يخرج البحار الناسي من جهة ، ليدخل لمفضل من الجهة الأخرى)

لمفضـــــل : (بلهجة آمرة) آش كتديروا انتما هنا ؟

النمـــــس : أحنا ؟

لمفضـــــل : أييه ، أنتما ، وياك ما تكونوا باغيين شي صدقة ؟

القنفـــــود : ألا نعم آس ..

لمفضـــــل : أنا فهاد لبلاد هادي ، راني من الناس المحسنين لكبار ، إلى ما عندكم خبار..

النمـــــس : (نفسه) هذا ظاهر عليه يدو طويلة ، وكلمتو مسموعة ..

لمفضـــــل : إلى كان خاصكم الخدمة قولوها ، راه الخدمة ـ والحمد لله والشكر لله ـ ما كاينه غير هي .. إيه ، وعنداكم تكونوا غالطين ، وتديروا بحال شي وحدين، وتمشيوا توقفوا أمام أبواب المسؤولين ، وتديروا الفوضى فالبلاد، وتقولوا أجمعين ، الشواهد ها هي ، والخدمة فاين هي ..

النمـــــس : لا احنا خدامين نعم أسيدي ..

لمفضـــــل : (لنفسه) سعداتكم ..

القنفـــــود : وخدامين بالنية والمعقول ، جمعة وسبت وأحد، وصباح وعشية ، وفكل وقت ، نعم آسيدي ـ تلقانا حاضرين وناظرين ..

لمفضـــــل : الله يرضي عليكم ، وهكذا نبغيكم تكونوا دايماً وأبداً ، أنا عزيز علي ناس المعقول وناس الجد والمثابرة بحالكم ..

النمـــــس : (وهو محرج) سمح لينا نعم آس ، راه بغينا سولولوكم ، أشكون انتما سيادنكم ، ولكننا ـ كما كتشوفوا ـ راحنا حشمانين ومحرجين ..

لمفضــــــل : عندكم الحق تكونوا محرجين أيها المساكين ، وعندكم الحق تسولوا شكون احنا في أرض رب العالمين ..

القنفـــــود : (في حياء مفتعل) وما تاخذهاش منا قلة الصواب نعم آس

لمفضــــــل : أحنا فهاد لبلاد السعيدة هادي ـ والحمد لله والشكر لله دائماً، شي حاجة كبيرة ، وكبيرة بزاف ، والدليل هو هذا .. (يدور حول نفسه ليريهما زيه) هذا هو العنوان يا إنسان ، والعنوان يغني عن السؤال ..

القنفـــــود : وشنو سميتكم نعم آس ؟

النمـــــس : وشنو كتعملوا فالمهنة ؟ التجارة ولا السياسة ؟ الاستيراد والتصدير ولا البناء؟

لمفضــــــل : راه الليل باقي طويل ، ومازال نتلاقاو، ومازال عندي فراسي ما نحكي ليكم، كل شي بأوانو، ولما يجي الوقت، غادي نقولوا ليكم بالتفصيل الممل ، أشكون احنا .. (وهو يخرج) نتلاقا وبعد قليل ..

(يخرج المخبران وراءه من غير أن يشعر بهما)

11 - العميان بعد الليلة ..

(يدخل العميان ، وهم يهتزون من شدة الضحك)

موســـــى : ويلي ويلي ، هل تعرفون أين كنا ؟
فرحـــان : كنا في الجنة ، أو على أبواب الجنة ..
عـــواد : لا ، بل كنا في النار يا صاحبي ، أو كنا بين الجنة والنار، ونحن لا ندري ..
القصبـاوي : أما أنا فأقول، كنا في ليلة حلم..
فرحـــان : فعلاً ، كنا في حلم يا أولاد الحلال
القصبـاوي : يا الله، ليت ذلك الحلم كان أطول قليلاً ..
موســـــى : أما أنا فأقول، كنا في مسرحية ..
فرحـــان : ها ها ، وأنت متى شاهدت المسرح يا أعمى ؟
موســـــى : لن أرد عليك أيها الأمي ، كنا في مسرحية غريبة عجيبة ، من ذلك المسرح الذي يسمونه اللامعقول ..
القصبـاوي : غير معقول ، مسرحية داخل مسرحية ، كيف تفسر هذا ؟
عـــواد : ولماذا تريد أن تفسر كل شيء ؟ قل كانت ليلة من ألف ليلة وكفى ..
موســـــى : أحس يا أولاد الحلال ، وكأنني أخرج اللحظة من التاريخ ، ما رأيكم لو نعود من حيث خرجنا ؟ (وهو يهم بأن يعود من حيث أتى)
القصبـاوي : إلى أين أيها الأحمق ؟ الليلة انتهت ..
موســـــى : نعم، ولكن المسرحية باقية يا أولاد الحلال ..
القصبـاوي : قل سبحان الله ، وافتح عينيك ، لقد راح الليل وهذا صباح يوم جديد ..
موســـــى : هذه الليلة لا يمكن أن تنتهي ، وإنني أراها بحجم الأبدية ..
فرحـــان : لقد أكلنا، وشربنا ، ونقرنا على الدفوف، وأنشدنا حتى بحت أصواتنا ..
عـــواد : بدأنا الليلة بنشيد (طلع البدر علينا)
موســـــى : وختمناها ب (طلع الفجر علينا)

عـــــــواد : وأين هو الفجر يا أعمى والقمر مازال في السماء ؟

القصبــاوي : وأخذنا أجرنا ، وزيادة ..

فرحــــــان : وجمعنا هذه (البنادير) وخرجنا ..

عـــــــواد : (ينزع نظاراته السوداء ويرمي بها بعيداً) لقد رأينا العجب في غير شهر رجب ..

موســــــى : (يرمي بنظارته هو أيضاً) ولو كنا عمياناً حقاً ، ما رأينا شيئاً، ولفاتنا أن نرى ما تفعل المحجبات الصالحات..

فرحــــــان : (وهو يرمي نظاراته) من حسن حظنا أن العمى ليس إجبارياً في عالم الخيال والاحتفال ..

عـــــــواد : .. ولو كان إجبارياً ، ما اكتشفنا نفاق الناس في دنيا الناس..

القصبــاوي : لقد رأينا، رأينا ، وتحررت عيوننا المعتقلة ، واكتشفنا، وليس من رأى كمن سمع ..

فرحــــــان : ألا ترون ، أنه لو كنا عمياناً حقاً ، لكان ذلك أحسن ؟

موســــــى : أحسن ؟ أحسن بالنسبة لمن ؟

فرحــــــان : بالنسبة لمن ؟ لست أدري .. بالنسبة للعبة الوجود ولعبة الحياة، ولعبة الأحياء ..

القصبــاوي : ولو من وراء الزجاج ، ورغم هذه النظارات السوداء (ينزع نظاراته السوداء ، ويضعها في جيبه) فقد رأينا ما لا عين رأت، ولا خطر على بال أعمى ..

عـــــــواد : لقد صدقن بأننا لا نراهن ، فمارسن حريتهن ..

فرحــــــان : تلك يا صاحبي لم تكن حرية ..

عـــــــواد : نعم، وماذا كانت ؟

فرحــــــان : كانت فوضى، وكانت معصية ، وكانت تهتكاً وفجوراً وشذوذاً، وكانت نفاقاً وكذباً على الله وعلى الناس المحترمين (مشيراً إلى نفسه) ..

موســــــى : وما فعلناه نحن ، ماذا تسميه أيها الفقيه المحترم ؟

عـــــــواد : كان (أكل عيش) يا صاحبي ..

القصبــاوي : نحن كنا في عالم ، والنسوة الصالحات كن في عالم آخر، كنا ننشد الأذكار ، ونصلي على النبي المختار، وكانت الحاجة ميلودة ، مع الحاجة نور العيون ترقصان التانغو ..

موســــــى : نحن نمدح النبي ، ونقول يا جاه النبي، وهن يعاقرن النبيذ ..

فرحـــــان : على الأقل، ونحن في العلب الليلية ، وفي الكباريهات ، يكون غناؤنا من جنس ما يفعل الناس ، ونجد الناس صادقين مع أنفسهم ومع الله ..

عـــــواد : وأجمل ما فيهن ـ يا أولاد الحلال ـ قدودهن التي تميل يميناً وشمالاً، وتدور وتتلوى كما تتلوى الأفاعي ..

القصبـــاوي : وأجمل من قدودهن ملابسهن الغالية ، إنها على موضة باريس ولندن ..

موســــــى : تلك لم تكن ملابس يا صاحبي ..

القصبـــاوي : وماذا كانت ؟

موســــــى : سمها ما تشاء من الأسماء ، إلا أن تكون حقاً ملابس ، فهي أثواب حرة، مفتوحة على كل الجهات ، وكأنها لم تعرف الخيط والإبرة ..

القصبـــاوي : تلك هي الموضة هذه الأيام يا صاحبي ، ألا تعرف هذا ؟

موســــــى : أية موضة ؟

القصبـــاوي : موضة أمنا حواء ، والتي هي أقدم موضة أخرجت للناس ..

عـــــواد : سبحان الله ، كان الأصل في اللباس أن يستر العورة ، فأصبحت مهمته أن يكشفها للعيون ..

فرحـــــان : ورنات الأساور الذهبية ، هل سمعتموها ؟ لقد كانت موسيقا ساحرة ..

موســــــى : سبحان الله ، من يمكن أن يصدق هذا ؟ نساء محجبات، ومبرقعات ، ومع ذلك فقد استطعنا ، نحن العميان ، أن نراهن ؟

فرحـــــان : وهذه واحدة من معجزات رب العالمين (يضحكون)

القصبـــاوي : هل رأيتم الحاجة غيثة وهي ترقص ؟

الجـــميـــع : رأيناها ..

موســــــى : لقد (حزمت) وسطها ، وفكت أسر شعرها، وألقت بحذائها بعيداً ، و ركزت، ولوزت ، ما رأيكم في رقصها ؟

فرحـــــان : فعلاً هي موهبة خارقة، وأين منها سامية جمال ؟

عـــــواد : إن مثل هذه المواهب المحجبة ، هي التي ضاع فيها شارع الهرم،

وخسرتها علب الليل في الكورنيش ..

فرحـــــان : ما قولكم ـ دام نفاقكم ـ أن نقضي ما تبقى من هذا الليل، في هذا المطعم الفاخر؟

عـــــــواد : هي فكرة ليست حسنة ، وإنني أستغربها من رجل سيء مثلك..

موســـــــى : وأنا أقول ، مادام كاين الرزق ، اعلاش ماندير هاش ؟

القصبـــاوي : على بركة اللّٰه ..

(يدخلون المطعم ، وقد استعادوا زيهم الأول)

12 - كيف سألقاه ؟

(تدخل الصافية ، وهي تدفع عربتها ، تنظر في كل الجهات ، وقد أعياها الانتظار)

الصافيـــــة : إنني أشعر أنه هنا ، نعم ، هو الآن هنا ، أو هو فريب جداً من هنا، وإحساسي صادق في حال القلق دائماً .. يا الله ، بأي وجه ألقاه؟ ليتك كنت تتكلمين يا فرح ، لتساعديني على أن أتجمل له ، وأن تخبريني ، إن كان أبوك سيتعرف علي بسرعة؟ لا أظن يا فرح ، لا أظن، فسنة من الغياب ليست قليلة ، ثم إن اللقاء في ظلمة هذا الليل، ليس مثل اللقاء في واضحة النهار، ثم إن الوقت متأخر جداً ، وقد نكون على مشارف الفجر .. (من الجهة الأخرى يدخل لمفضل ، وهو في كامل طاووسيته)

لمفضـــــــل : الناس كلهم كيحترموننا ، والحمد لله على كل حال ، والبركة كلها في الجلابة والبلغة ، وفهاد النخوة ، إيوا الله لا يخطي علينا النخوة.. (يدخل المخبران القنفود والنمس ، ويقتربان منه)

النمــــــس : (وهو ينحني في احترام شديد) مرة أخرى ، كنجدوا التحيات، ونقولوا نعم آس ، مساء السعد والخيرات ..

لمفضـــــــل : بسم الله الرحمن الرحيم، عاودتاني انتما؟ واش انتما هما انتما ولا كاين منكم شي وحدين اخرين ؟

القنفـــــود : وعلاه نعم آس ؟

لمفضـــــــل : اعلى حقاش ، فاين ما درت نلقاكم قدام وجهي ، وبغيت نعرف، اشنو هي طلباتكم آلولاد ؟

النمــــــس : بسيطة نعم آس ، بغينا غير نعرفو، انتما شكون انتما ؟

لمفضـــــــل : ساهلة ، وما كاين ما سهل منها ..

النمــــــس : بغينا نخدموكم، ونكونوا عند السمع والطاعة ، وعليه، لازم نعرفوا اسميتكم نعم آس ؟

لمفضـــــــل : نحن ؟ نحن اسميتنا لمفضل ..

القنفـــــود : تبارك الله . أنتما هما موالين الخير كلو وخلاص ؟ وشكون

اللي سماكم لمفضل آمولاي .. لمفضل ؟

لمفضـــــــل : نحن .. نحن اللي سمينا راسنا براسنا ..

النمــــــس : أييه، إيوا راس عندكم آمولاي لمفضل ..

لمفضـــــــل : شفتو العبقرية والنبوغ والسنطيحة حتى هي، شنو دايره بي ؟

النمــــــس : شفنا نعم آمولاي .. والله إلى شفناها ..

لمفضـــــــل : إبوا قولوا باز، وقولوا التسليم لرجال الله ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

النمــــــس : نقولوها ، وحق الله حتى نقولوها ، باز آسيدي باز، والتسليم ، واسنطيحة كبيرة عندك أمولاي .. لمفضل ..

القنفــــــود : (لصديقه على انفراد) لا ظاهر، السنطيحة هو مولاها ، والشي لآخر ، يعلم الله ..

لمفضـــــــل : آسيدي، اسمعني انقولليك ، راه السنطيحة لمقزدرة هي كلشي فهاد الزمان ..

النمــــــس : ياك نعم آس ؟

لمفضـــــــل : وهكذا بغا ت الوقت، شرف الله قدركم ..

النمــــــس : ابغيت نسولك آلسي لمفضل ؟

لمفضـــــــل : (لنفسه) عاد دابا وهو يقوللي مولاي ، ودغية دغية اصبحت غير السي، وولات هاد السي حافية وناشفة ويابسة ، آش جرا وطرا في ملك الله تعالى؟ (للنمس) أييه ، راني كنآذن لك باش تسولني ، أتفضل ..

النمــــــس : أشكون اللي فضلك ألسي لمفضل ؟ وعلى من فضلك ؟ وشنو درت في زمانك، حتى فضلك على غيرك من الناس ؟

القنفــــــود : واش أنت هو اللي جريت الماء فالعيون والسواقي ؟

لمفضـــــــل : ألا ..

النمــــــس : ولا أنت هو اللي رفعت هاد السما للسما ؟

لمفضـــــــل : بالصراحة ، ألا ..

النمــــــس : ما تكونش أنت هو اللي قلت للديك الفصيح باش يصيح ؟

لمفضـــــــل : وحتى هادي ، ألا ..

القنفــــــود : وعلاش سميتك لمفضل آلمفضل ، اعلاش ؟ ابغينا غير نعرفوا اعلاش ؟ قوللينا اعلاش ؟

لمفضـــــــل : نحن ما اسميتناش لمفضل حافية ، اسميتنا ـ شرف الله قدركم ـ الحاج لمفضل النخوة ..

النمـــــــس : الله أكبر ، ووقتاش حجيتي ؟

لمفضـــــــل : نحن ؟ باقي ماحجينا ..

القنفـــــود : وكيفاش درتي ليها ، حتى ولليتي حاج آ .. الحاج ؟

لمفضـــــــل : العبقرية ، والنبوغ ، والسنطيحة ، ياك جات معايا ؟ الحاج لمفضل مول كل شي، والعالم في كل شي ، هو نحن ..

النمـــــــس : وهادا لحماق هذا ..

القنفـــــود : واش أنت مسؤول كبير ؟

لمفضـــــــل : ما أنا مسؤول كبير ولا صغير ..

النمـــــــس : عرفناك ، أنت من الأعيان ..

لمفضـــــــل : ألا ، راك باقي ما عرفت والو ..

القنفـــــود : (يهمس له) وياك ما تكون من الأمن السري ؟

لمفضـــــــل : أنا من الأمن السري ؟ (يضحك) الله يجيبكم على خير ..

القنفـــــود : إيوا ما تكون غير شي واحد غني، وشبعان وسخ الدنيا ؟

لمفضـــــــل : أبداً أبداً ، نحن ـ ولا فخر ـ رجل فقير، ولكنني شريف ، وغني بكرامتي ..

النمـــــــس : آويلي، أنت فقير؟ وكتقولها بوجهك حمر؟

لمفضـــــــل : أييه ، وعلاه بغيتني نقولها بوجهي خضر؟ فقير بحال كا عباد الله، مع أنه كان من اللازم باش نكون من أغنى الأغنياء في هاد الوطن، كتعرفوا علاش ؟

القنفـــــود : اعلاش ؟

لمفضـــــــل : (لنفسه) ما بقاوش كيقولولي نعم آس.. لأنني مواطن، مواطن كامل المواطنة ، فهاد الوطن الغني بخيراته ..

النمـــــــس : كفاش ؟ أنت غير مواطن ؟

القنفـــــود : مواطن وصافي ؟

لمفضـــــــل : وليه مواطن جاتكم ساهلة يا لولاد ؟

النمـــــــس : اتخدعنا فيه آصاحبي ، واحترمناه ، وقدرناه ..

القنفـــــود : وهو غير مواطن ..

النمـــــــس : وشحال من مرة خفنا منو ، وجاملناه ، وحاولنا تقربوا منو ..

القنفـــــــود : وهو غير مواطن ..

لمفضـــــــــل : نحن غير مواطن ، ولا شيء يعلو فوق الوطن ، ولا كرامة تعلو فوق كرامة المواطن الشريف في وطنه .. والآن ، شرف الله قدركم، يمكن ليكم تبعدوا من الطريق شي شويه ، لأننا في الطريق إلى هاد المطعم الفاخر، لنمارس مواطنتنا كاملة ، ولنحيا ساعة هناء ، قبل ما تجي الموت، وتسوقنا جميعا إلى الدار الدايمة .. (يدخل إلى المطعم وهو يمشي بزهو كبير)

القنفـــــــود : وا ليلة هادي واشمن ليلة ..

النمـــــــس : شفنا فيها آصاحبي اللي ما عمرنا شفناه ..

القنفـــــــود : شفنا غرائب المخلوقات ، ودابا عاد عرفت وتأكدت، باللي كائنات الليل ماشي بحال كائنات النهار ..

النمـــــــس : قلة لحيا هادي، غير مواطن وجا للمطاعم الفاخرة ..

القنفـــــــود : وحتى احنا يمكن لينا نديروا بحالو، نفرحوا براسنا شي شويه ، وندخلوا لهاد المطعم ، ياك هاد الليل آ صاحبي امشى فحالو؟

النمـــــــس : (وهو يرى حوله) إيه .. تقريبا آصاحبي ..

القنفـــــــود : ها انت شوف ، السما صافية والدنيا هانية ، وكل شي بألف خير ..

النمـــــــس : يا الله أصاحبي، وتما نكتبوا التقرير على خاطر خاطرنا ..

القنفـــــــود : نكتبوا التقرير ؟ وشنو غادي نقولوا فيه آصاحبي ؟

النمـــــــس : غادي انقولوا اللي شفنا وسمعنا ..

القنفـــــــود : أييه ، ونزيدو شي شوية فالكلام، وقولوا فالتقرير، إنه بفضل يقظتنا، أصبح كل شي على ما يرام ..

القنفـــــــود : والسلام، وها هي الليلة دازت بخير وعلى خير ، إيوا يا لله آصاحبي (وهما يهمان بدخول المطعم ، يسمع صوت درهمان قادما من بعيد)

النمـــــــس : آش هذا آصاحبي ؟وياك ما وقعت الواقعة وحنا لا خبر ؟

القنفـــــــود : ما تخافش أصاحبي ، هذا غير ذاك الشحاذ لعمى ..

(يدخل درهمان الشحاذ وهو يسوق دراجنه بطريقة بهلوانية)

درهمان : يا أهل هذا المكان من بني الإنسان، لا تخافوا ولا تحزنوا، وابقوا حيث أنتم، ولا تغادروا المكان، ابقوا قلت لكم ، حتى نفرجكم علينا ، ونريكم من آياتنا عجباً ، الفرجة هذه الليلة، وفي كل ليلة ، بالمجان، أي نعم، بالمجان ، أو.. تقريباً ، بما يمكن أن يشبه المجان ..

القنفود : وا منحوس هاد لعمى ..

النمس : هذا أعمى ساكنو عفريت ، والأعمى اللي ساكنو، ظاهر آصاحبي عندو عينيه ..

درهمان : لست من الجن ولا من الشياطين، وما أنا إلا رجل فنان، أنا نابغة وعبقري، أنا ساحر وبهلوان ، وما الفنون يا ضيوفي إلا جنون، ولكنكم لا تعلمون ، أنا صاحبكم درهمان ، شوفوني وتأملوا آش كيديوا العميان في ليل العميان .. أنا مصيبة المصائب، في زمن الغرائب والعجائب ، أنا فلتة من فلتات الزمان، أنا معجزة من معجزات الرحمان .. (يتوقف عندهما)

النمس : عاودتناني انت ، اشنو بغيت آدرهمان ؟

درهمان : أنا ؟ والو ، وحق لا إله إلا الله ، ما بغيت لكما إلا السلامة والعافية وطول العمر ، وأن يخرج الله سربيسكما على خير، قولا آمين يا رب العالمين ..

القنفود : آمين ..

درهمان : راني شفتكم يا أولاد ال .. ومن بعيد جداً

القنفود : قلت شفتنا ؟

درهمان : أي نعم، وبعين قلبي والله ، وليس بعين وجهي ، شفتكم غاديين للمطعم ، باغيين تتعشاو ياك ، ومتى ؟ في هاد الوقت المتأخر من الليل، أو .. المتقدم من النهار، لست أدري ..

القنفود : آش بغيت تقول أدرهمان ؟

درهمان : ابغيت نقول ما يلي ، ياك الخدمة خدمناها جميع ، وبحال اللي شميتوا انتما ، راه نحن أيضا شمينا ..

النمس : آ درهمان ، راه باقي ما شفنا منك خدمة ..

درهمان : سوف تأتي الخدمة قريباً ، وستقولان إن شاء الله ، فعل درهمان ، وقال لنا درهما ن ، وحذرنا من هذا وذاك درهمان ،

وستندمان لأنكما نسيتماني ساعة العشاء .. (بحزن مفتعل)

القنفـــــود : ياك بغيت غير لعشا ؟ يا الله آسيدي معانا ، مرحبا بك ..

درهمـــــان : فهمتني خطأ يا صاحبي ، أنا ما بغيت العشاء ..وا لحماق هاذا، وشنو بغيت ؟يغيت ثمن العشاء ، إلى ما كان عندكم مانع، صرفوه لي فلوس ، الله يصرف ذنوبكم إلى حسنات ..

النمـــــس : وانمرة هذا، واشمن نمرة ..

درهمـــــان : أنا نمرة رابحة في يانصيب الزمن ، شكاك دائماً ، هجاء أحياناً ، سليط اللسان إذا دعت الضرورة ، طماع إذا وجدنا أهل الخير والإحسان (بحالكم) طفيلي في المآدب ، حاضر ناظر، إذا مدت الموائد ، وصفت الأطباق، كما أنني ـ ولا فخر ـ كثير الشكوى إلى الله، وإلى عباد الله ، كثير الإدعاء قليل الحياء ..

القنفـــــود : لا، باين عليك ..

درهمـــــان : ثرثار، مهذار ، بضاعتي الكلام في سوق الكلام ، والأهم من كل شيء ، أنني جبان وضعيف ..

النمـــــس : أنت ضعيف ؟ سبحان الله ..

درهمـــــان : أييه ، أنا ضعيف ، خصوصاً أمام سيدنا ومولانا ، والذي إذا ظهر هو ، تبخرت أنا ..

القنفـــــود : مولانا ؟ (في غضب زائد) اشكون كتقصد ؟ أدوي ..

درهمـــــان : يا سيدي ، افهمني أولاً ، ثم من بعد اعطني ما شئت من الأموال، راه مولاي هو مولاك نفسه، وهو مولى كل الناس أجمعين ، أسماؤه كثيرة وهو واحد أحد ، مرة ـ يا أولاد ال ـ هو الدرهم ، ومرة هو الدينار ، ومرة هو الدولار ، وأنا لا أغمض عيني ، ولا أفتحهما ، إلا من أجل مولانا هذا ، حرسه الله ورعاه، وجعلني ـ وإياكم ـ من خدامه الأوفياء ، ومن محبيه ومن رعاياه ..

النمـــــس : هذا شحاذ مثقف مزيان آصاحبي (لصديقه)

درهمـــــان : أنا ماشي شحاذ ، ولا متسول ، وما أنا إلا فاعل خير، ومهمتي شريفة ونبيلة جداً، وإنني أشتغل ـ يا أولا ال ـ بتنظيف الجيوب الوسخة والقذرة والعفنة ، وآخذ من المتخمين شيئاً قليلاً ، حتى

لا تقتلهم التخمة .. ديوا الخير تلقاو الخير يا أولاد الذين..

القنفـــــود : هاك ، خذ (يعطيه ورقة مالية) وبالحق سر شوف شغلك ..

درهمـــــان : (وهو يشم الورقة) الله الله ، ما أطيب ريحها (يطويها بعناية ويضعها في جيبه الداخلي) شفت الفجر قرب ، وعليه فإنني أقول لكما، من دابا ـ صباح النار .. عفواً ، صباح الأنوار ..

(يركب دراجته وينطلق ، ويدخل المخبران إلى المطعم)

13 - وأخيراً حضر ابن هدي المنتظر ...

الصافيـــــة : (وحدها) يا الله ، كيف أبدو الآن ؟ ليت لي مرآة ، حتى أرى وجهي، لاشك أنني تغبرت ، ولكنني لم أشخ بعد ، ولا أحد يمكن يشيخ بعد سنة، أليس كذلك يا فرح ؟ أخبريني عن الرجل المنتظر، هل سيتعرف علي من أول نظرة ؟ لا أظن ، وأنا ؟ هل سأعرفه ؟ جائز أن يخطئه بصري ، ولكن قلبي العاشق لابد أن يدلني عليه ، وأن يقول لي هو هذا ..إنني أتصوره الآن يا فرح، وقد ازداد وسامة وأناقة، وأصبح يرتدي القميص والبنطلون، ومن يدري ؟ فقد تكون على رأسه برنيطة، وأن تكون في يده سيجارة ، وأن يكون عنقه مطوقاً بربطة عنق حريرية ، وأن يكون متعطراً بالبارفان الباريسي ..وعقله أيضاً، مثل ملابسه، سيكون قد تغير كثيراً، وأصبح أكثر تفتحاً وأكثر تحرراً ، وأكثر تسامحاً ، وأكثر تفهماً ، وهذا شيء طبيعي يا ابنتي ، ومن عاشر قوماً أربعين يوماً ، فإنه لابد أن يصبح مثلهم، وأن يكون منهم ، وهو قد ساكنهم سنة كاملة ، ولابد أنه قد أصبح اليوم رجلاً آخر .. يا الله ، ما أجمل المعرفة ، وما أنبل العلم ، ولقد أخبرني أبوك - في رسالته الأخيرة - أنه منكب على دراسة العلوم ، ويعلم الله أية علوم يدرس ؟ عندما يأتي، سنعرف كل شيء ..

(يقف عبد الله المجذوب وعبد البصير وظهرهما إلى الجمهور، تخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً ، ولا يتبقى إلا بقعتان ضوئيتان ، الأولى تقف بداخلها الصافية وعربتها ، والثانية يقف بداخلها عبد الله المجذوب وعبد البصير)

عبد البصير : أنت من أنت أيها الرجل الحكيم ؟

عبد اللــــــه : لست حكيماً يا هذا، وما أنا إلا طالب حكمة ..

عبد البصير : ولكنك لست أعمى ، في ليل العميان ..

عبد اللــــــه : ما أنا إلا واحد بين كل الناس ..

عبد البصير : واحد؟ وابن من أنت ؟

عبد اللـــــه : أنا من أبناء عبد الواحد ، وأنت أيضاً، من أبناء عبد الواحد، وكلنا يا عبد البصير ـ في هذا الكون الواحد ـ أبناء أبينا عبد الواحد ، وكل أبناء عبد الواحد واحد .. (يصبح المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى الجانب الآخر)

الصافيـــــة : (وهي تقف أمام عربتها ، يدخل رجل بلحية كثة وهو في رداء أفغاني، وهو يمسك بيده صرة كبيرة وثقيلة جداً، يقترب منها في حذر شديد) هذا الرجل ، ملامحه ليست غريبة عني ، إنه ينظر إلي ، وكأنه يعرفني ..

بن هـــــدي : السلام عليكما أيتها المنتظرتان .. (وهو ينظر حوله في خوفه، ويحاول أن يخفي ملامح وجهه)

الصافيـــــة : وعليك السلام ورحمة الله ، وكيف عرفت أنني أنتظر ؟

بن هـــــدي : إنني أعرف أنك تنتظرين ، وأعرف كم مضى من الوقت وأنت تنتظرين، وأعرف أيضاً، من يكون الرجل الذي تنتظرين ..

الصافيـــــة : (لنفسها) يا الله . هذا الصوت ليس غريباً عني ، أتكون أنت هو؟

بن هـــــدي : نعم ، أنا هو، بعلك الذي أعاده الله إليك سالماً غانماً ..

الصافيـــــة : (وهي تتأمله) ولكنك تغيرت كثيراً ..

بن هـــــدي : وأحمد الله أنني تغيرت يا امرأة ..

الصافيـــــة : أما أنا ، فمازلت كما كنت ..

بن هـــــدي : لقد غيرت طريقاً بطريق ، وتخليت عن أوهامي القديمة، واستبدلت كل رفاق الطريق، وذلك بعد أن أدركتني رحمة الله تعالي ، وهدتني إلى الطريق المستقيم ..

الصافيـــــة : هذه اللغة ، لم تكن لغتك من قبل ..

بن هـــــدي : تلك اللغة ، كانت لغة الجاهلية يا امرأة ..

الصافيـــــة : لقد ذهبت إلى بلاد الغربة ، لتبحث لنا عن رزق ، هل نسيت هذا ؟

بن هـــــدي : ماذا أقول لك؟ هجرة المهاجرين الأولين، لم تكن بقصد المال يا امرأة

الصافيـــــة : وبقصد أي شيء كانت ؟

بن هـــــدي : كانت بحثاً عن الحق والحقيقة ، وكانت هجرة إلى النور، وهروباً من الظلم والظلام ..

الصافيـــــة : (وكأنها تكلم نفسها) الحق والحقيقة، والنور والظلام ؟ دعنا من هذا الآن، والمهم من كل شيء ، هو أنك عدت لنا..

بن هـــــدي : نعم عدت ، ومعي اليوم خير كثير..

الصافيـــــة : تقول الخير الكثير ؟ هل أصبحت غنياً ؟

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا أمة الله ؟ الله وحده الغني ، وكلنا في ملكه فقراء ..

الصافيـــــة : والمال ، ألم تتغرب من أجله ؟

بن هـــــدي : وما عندي اليوم ـ لو تعرفين ـ أفضل من المال ..

الصافيـــــة : أفضل من المال ؟

بن هـــــدي : لقد عرفت الله يا أمة الله، أخيراً عرفته وعرفني، وقربني من أهل الإيمان والتقوى ..

الصافيـــــة : عجباً ، أخيراً عرفت الله ، وأين تم هذا الفتح المبين ؟ قل أين ؟ في بلاد الغربة ؟ ألم يكن الله موجوداً هنا أيضاً ؟

بن هـــــدي : هكذا شاء الله ، وما أراد الله كان ، وقدري أن أعرفه هناك وليس هنا ..

الصافيـــــة : يا ويلي، إنك تخيفني بهذا الكلام .. (يسمع صوت بكاء الرضيع)

بن هـــــدي : (مشيراً إلى العربة) أهذه هي الأمانة يا امرأة ؟

الصافيـــــة : أية أمانة ؟

بن هـــــدي : تلك التي استودعتها في بطنك ، ورحلت ؟

الصافيـــــة : سبحان الله ، كأن الرجل ليس هو، وحتى لغته لم تعد لغته ، فماذا جرى لهذه الدنيا ؟ (لنفسها)

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافيـــــة : أقول، تلك الأمانة التي كانت في أحشائي ، هي الآن هنا ، في (الكروسة)

بن هـــــدي : (وهو ينظر داخل العربة) سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، وماذا سميتموها ؟

الصافيـــــة : سميناها (فرح)

بن هـــــدي : (بغضب شديد) ماذا ؟ فرح ؟ ومتى ؟ في زمن الغضب ؟ اسمعي ياامرأة، من الآن هي الشيماء، وأنت أم الشيماء ، وأنا أبو الشيماء، هل سمعت ؟

الصافيـــة : نعم سمعت (لنفسها) ويا لهول ما أسمع الليلة ..

بن هـــــدي : ثم أيضاً ، ما هذه الملابس التي عليك ؟

الصافيـــة : هي ملابسي يا رجل ..

بن هـــــدي : بل هي ملابس الفرنجة يا أم الشيماء، وما في هذه المدينة الفاجرة إلا الخارجون عن الحق ..(يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى البقعة الضوئية الثانية)

عبد البصير : وأنا يا عبد الله ، من بين كل عباد الله ، في دنيا الله ، ماذا أمثل بالنسبة إليك ؟

عبد اللـــه : لست أدري ، إن كنت صديقي فأنت صديقي، وإن لم تكن، فلست عدوي ..

عبد البصير : هذه الحكمة يا عبد الله ، من علمك إياها ؟

عبد اللـــه : الظلم علمني، والفقر أغناني، والغربة غربتني ، وهذا القهر الذي في وطني أماتني ثم أحياني ، وأدخلني في لجة الظلمة ثم أخرجني ..

عبد البصير : يا الله ، في هذا البلد خلل إذاً ؟

عبد اللـــه : نعم ، وهو بسعة هذا العالم كله، لقد أدخلوني السجن يوماً، وقلت لهم، ما أضيق هذا الكون ، وما أوسع سجني، وأغمضت عيني ورأيتني أكبر من لحظتي وأرحب من مكاني.. رأيتني ورأيت سجاني ، وأشفقت عليه، وقلت في سري ، ما أشقى هذا الرجل وما أسعدني ، أنا في هذا السجن أكثر حرية من سجاني ، وأنا في هذا الوطن أكثر امتداداً من وطني ..

(يسمع جرس الدراجة الهوائية وهو يرن بقوة ، يقترب صوت درهمان وهو قادم)

بن هـــــدي : (في خوف) من هذا القادم يا امرأة ؟

الصافيـــــة : هذا درهمان الأعمى، شحاذ الحي ، وهو وحده الأعمى الذي يرى ويسمع في كل العالم تقريباً ، وهو شحاذ لطيف وظريف، لا يؤذي أحداً ، ولا شيء يشغله سوى أن يتدبر قوته اليومي ،،

بن هـــــدي : الويل له ، الويل له ، ألم يجد غير هذا الوقت ليأتي ؟ (لنفسه) سيفسد هذا المجنون كل شيء (يدخل درهمان، ويدور بدراجته وسط الخشبة)

درهمــــــان : هذه هي دورتي الأخيرة ، وبعدها سأعود إلى بيتي ، وإلى ربة بيتي ، وإلى أهل بيتي ، وقبل الانصراف ، أرى من حقي أن أقول كلمتي الأخيرة ، أقولها لمن يرى ويسمع ، ولمن يسمع عني ولا يراني .. يا أيها الذين تقيمون في السماء، مع النجوم اللامعة ، ومع الأقمار الساطعة ، من هناك ، من فوق ذلك السحاب، طلوا على أهل الأرض ، وعلى كائنات الرمل والوحل والتراب ، وأقول للذين يسكنون تحت الأرض ، اخرجوا للضوء والهواء ، واعلموا أن السماء قريبة جداً .. (يمد يده إلى فوق) ها هي السماء ، إنني أمسكها بيدي .. هذه ليلة مضت ، وغداً سوف تأتي ليلة ثانية ، هذا شيء مؤكد ، ولكن نحن، أنت وأنا والآخر، هل سوف نعود ؟ لست أدري .. باي باي يا أولاد الذين.. هيئوا دراهمكم، وإن شاء الله ، غداً (راني جاي)

(يخرج)

14 - خاتمة الموال ..

(تختفي الإضاءة العامة من جديد ، وتعود بقعة الضوء الضيقة)

الصافيـــــة : سبحان الله، لم يعجبك اسم ابنتنا ، ولم تعجبك ملابسي ، وماذا بها هذه الملابس أيها الرجل ؟

بن هـــــدي : هي ملابس نساء الكفار ونساء الزنادقة والملاحدة ، ونساء الخارجين عن الملة ، ولك عندي أحسن منها ..

الصافيـــــة : ليس المهم الملابس ، ولكن قلبي ، وليس بقلبي إلا حب الله ..

بن هـــــدي : نعم ، وحب الله مع شيء من الاحتشام ، لا يعادله شيء ..

الصافيـــــة : وهذه الملابس المحتشمة، هل ستغير من جوهر روحي شيئاً ؟

بن هـــــدي : لا تكثري من الجدل يا امرأة ، خذي هذه الملابس والبسيها، فهي وحدها لباس المؤمنات الصالحات .. (يفك الصرة ، ويخرج منها ملابس سوداء ، ويلقي بها إليها)

الصافيـــــة : (وهي تضع الملابس عليها ، وتكلم نفسها) انتظرت أن يعود في زي الإنسان، ولكنه عاد في ثوب السجان ..

بن هـــــدي : ماذا تقولين يا امرأة ؟

الصافيـــــة : إنني أسأل نفسي ، أيكون هذا هو كل ما أتيتني به ؟

بن هـــــدي : لا، ليس هذا فقط ، لقد أتيت لك بهذه النظارات أيضاً ، وبهذه القفازات السوداء ، وهي من النوع الجيد والرفيع والغالي ..

الصافيـــــة : النظارات ؟ ولكنني لست عمياء ..

بن هـــــدي : أعرف ، أنت لست عمياء ، وعيون الرجال الوقحة أيضاً ، ليست حولاء ولا عمياء .. (تضع النظارات على عينيها ، وترتدي القفازات ، يبقى المشهد جامداً ، وتنتقل الحركة إلى عبد الله وعبد البصير)

عبد اللـــــه : إن الأصل في هذا الوجود يا عبد البصير أنه متعدد الألوان والأصباغ ،فهومثل الطاووس تماماً ،حقيقتهفي تعدد ألوانه،والتي هي ألوان الأرض نفسها، و ألوان السماء نفسهاوكل الأشياء، وإذا اختزلنا ألوان هذا الطاووس في لون واحد أوحد، وكان هذا اللون هو الأسود ، فإنه لن يظل طاووساً كما خلقه الله ..

عبد البصير : وماذا يصبح يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : يصبح غراباً ، وما أكثر الدعاة إلى غربنة الوجود وإلى غربنة الحياة ، وإلى غربنة الأحياء وإلى غربنة عقول وأرواح كل الأحياء ، ولأنني ـ يا عبد البصير ـ لا أفكر كما يفكر كل الناس، فإنني مجنون وأحمق ، وعلامة جنوني وحمقي أنني أدخلت المصحة (لنفسه) وهل هي فعلاً مصحة أو هي سجن؟

(يبقى المشهد جامداً ، تنتقل الحركة إلى الجهة الأخرى)

الصافيـــــة : عجباً، لقد انتظرتك كل هذا الوقت لتأتي ، وعندما أتيت، وجدتك رجلاً آخر..

بن هـــــدي : وأنت أيضاً، ينبغي أن تكوني امرأة أخرى ..

الصافيـــــة : شيء جميل أن يتغير الإنسان ، ولكن ليس إلى هذه الوجهة ، وليس إلى هذا الحد ..

بن هـــــدي : أي حد ؟

الصافيـــــة : أن يصبح الإنسان هو غير هو، وأن يخرج من لحمه ومن عظمه ومن جلده..

بن هـــــدي : أنا اليوم ـ بفضل الله ـ أحسن من ذلك الزنديق الذي كنت ..

الصافيـــــة : نعم ، أنت أحسن منه في شيء ، وهو أحسن منك في شيء، والأحسن منكما معاً ، هو ذلك الذي كان ينبغي أن يكون ، والذي أحببته ، وانتظرته ورسمته في خيالي (لنفسها) ولكنه مات في الطريق ..

بن هـــــدي : لقد أراد الله بنا خيراً يا امرأة ..

الصافيـــــة : نعم، ونحن نريد بأنفسنا شراً ، وتلك هي المهزلة يا رجل ..

بن هـــــدي : مقارعة الشر للشر ليست شراً ..

الصافيـــــة : يا ويلي ، إنك تخيفني بهذه الأفكار الغريبة ..

بن هـــــدي : لا تخافي ، ولا تحزني، واعلمي أن الله معنا ، خذي هذا الحجاب ، ولفي به رأس ابتنا .. (يعطيها ثوباً)

الصافيـــــة : ولماذا الحجاب ، وهي لاتزال صبية ؟

بن هـــــدي : اعلمي أن من شب على شيء شاب عليه ، والاحتشام والوقار ليس لهما زمن محدد ..

الصافيـــــة : هذا ليس حجاباً، وإنما هو كفن أسود،

بن هـــــدي : هي ابنتي، ومن حقي أن أفعل بها ما أشاء ..

الصافيـــــة : آه ، تذكرت ، هي ابنتك ، ولكن ، ما رأيك لو نسميها الموؤودة؟

بن هـــــدي : ماذا ؟ الموؤودة ؟

الصافيـــــة : أليس هذا الاسم هو أحسن كل الأسماء ؟

بن هـــــدي : الوأد لا يليق إلا بالجاهلية ..

الصافيـــــة : (لنفسها) نعم، وهل هذا الفعل إلا من زمن الجاهلية ؟

بن هـــــدي : خذي هذه النظارات أيضاً ، وضعيها على عيني البنت (يعطيها نظارات سوداء صغيرة) فهي أنثى ، وكل أنثى عورة ..

الصافيـــــة : (وهي تضع النظارات داخل العربة) الآن أصبحت تشبهين أمك في كل شيء ، ولقد فعل الله خيراً أنك أنثى ، ولو كنت ذكراً مثل أبيك، لركب لك في وجهك لحية ..

بن هـــــدي : (يخرج من العربة دمية ، ويحضنها ، ثم يدفع بالعربة إلى باب الحانة، بعد أن يلقي بداخلها ما تبقى في الصرة) تعالي يا امرأة ..

الصافيـــــة : والعربة ؟ (وهي تنظر باتجاه الباب الذي دخلت منه العربة)

بن هـــــدي : لسنا في حاجة إليها ، وسوف آتيك بما هو أحسن منها ، تعالي.. (يجرها من يدها ، ويخرج مسرعاً ، وما أن يبتعد قليلاً حتى يسمع دوي انفجار شديد ، وتظلم الخشبة ، يسمع صوت سيارات الإسعاف وسيارات الإطفاء ، وصوت تغيير المحطات في الراديو ، وأصوات شعارات نشرات الأخبار في التلفزة .. ضجيج وصخب ، ونداءات غير مفهومة ، يعود الضوء إلى البقعة التي بها عبد الله وعبد البصير ، بينما يتعالى الدخان من الجهة الأخرى)

عبد اللـــــه : يا عبد البصير، حاول أن تبصر ..

عبد البصير : وهذه الظلمة التي في قلبي وعيني، وفي عقلي وروحي ، ماذا أفعل فيها ؟

عبد اللـــــه : أوقد لها شمعة يا عبد البصير..

عبد البصير : هي ظلمة دامسة وحالكة يا عبد الله ، وماذا تفعل معها شمعة واحدة ؟

عبد اللـــــه : أوقد لها قنديلاً أو سراجاً ، واحترق أنت إن استطعت، واحرص على ألا تكون لغماً منفجراً ..

عبد البصير : هل شاخ الزمان يا عبد الله ؟

عبد اللـــــه : شاخ الزمان ، وشاخ الإنسان ، وشاخ هذا الليل، ولم يبق سوى أن تدق ساعة الرحيل ، وأن يولد يوم جديد ..

(يسمع صوت انفجار آخر ، وتظلم الخشبة تماماً ، ويستمر الحوار بين عبد الله وعبد الصير في الظلمة)

عبد البصير : يا عبد الله، إنني أرى الظلمة تزحف على الضوء، وأرى الجهل يطرد العقل، وأرى الكلمة يتسابق إليها الحمقى ..

عبد اللـــــه : وماذا غير هذا يا عبد البصير ؟

عبد البصير : أرى الموت يطارد الحياة ، ويتوعد الأحياء ، وأرى المأتم يأخذ مكان العيد، ويحاول أن يطفئ كل الشموع وكل القناديل وكل المصابيح، وأرى القبح يا عبد الله يزاحم الجمال، ويحارب الكمال والاكتمال .. ياليلي ، يا عيني، على الدنيا وعلى أهل الدنيا ..

(يرتفع صوت المغني بموال حزين)

عبد اللـــــه : لم تقل لي يا عبد البصير، ماذا سوف تسمي مسرحيتك ؟

عبد البصير : هي ليست مسرحية ، ولكنها موال يا عبد الله ، موال حزين في ليل شبه حزين .. وسوف أسميها (يا ليل يا عين)

(يرتفع صوت الموال أكثر وأكثر)

المـــــــوال

ما حيلة العبد والأقدار جارية — عليه في كل حال أيها الرائـي
ألـقاه في اليم مكتوفاً وقال له — إيـاك إيـاك أن تبـتل بالـمـاء